"أحيانًا نفتقد لبعض الأشياء كثيرًا .. وخصوصًا لو كان الحب هو الشيء المفقود"

Telegram:@mbooks90

حكايات العمة روزا

سيفجي سويسال

ترجمة : نعمة هاني الأتربي

العربي

روايات مترجمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمة

"مراد بيلج»

مترجم وصحفي تركي

تعرفت على «سيفجي سويسال» من خلال حكايتها التي كانت تُنشر في مجلة «العمة روزا»، وكانت حينها تُعرف بلقب «سيونجو» نسبةً إلى اسمها بعد زواجها «سيفجي نوتكو»، كما أخبرني الناقد «مامت فؤاد» -Memet" Fuat». حينها كنتُ طالبًا جَامِعِيًا في فترة الستينيات، وأعمل في دار نشر «الباب العالي» - "babıali». في ذلك الوقت ومن خلال حكايتها استنتج الكثير من الكُتَّاب أنها ليست كاتبة تركية، ولكني لم أوافقهم الرأي في ذلك.

قالت في أحد أحاديثها: «إذا بدَّلنا العنوان من العمة روزا إلى العمة عائشة فلن يجذب هذا العنوان الانتباه بالشكل المرجو»؛ ولذلك كانت دائمًا ما تستخدم صفات التشبيه والأنماط السريالية محل الأنماط الغربيّة للسبب نفسه.

Telegram:@mbooks90

في فترة الحكم الجمهوري، ظهرت العديد من الكاتبات اللواتي حاولن تغيير نمط السرد الأدبي، ونقل أحداثه من القرية إلى المدينة. في الواقع، في فترة الخمسينيات، بدأ جيل جديد من الكُتَّاب أمثال «دمير أوزلو» - «Demir özlü»»، و»أونات كوتلار» - «Onat Kutlar"، و»فريد إدجو» - «Ferit Edgü»، و»أورهان دورو» - «Orhan Duru»»، «عدنان أوزيالتشينر» - «Adnan Özyalçıner»»، جعلوا لهذا الموضوع الأولوية، وكسروا هيمنة الاشتراكية وموضوعات القرية.

في الستينيات، ظهرت مجموعة من الكُتَّاب مثل «توماريس أويار» - «Tomris

Uyar»، وكاتبة المسرح والرواية «عدالت آغا أوغلو» - «Adalet Ağaoğlu». وفي ذلك الوقت ظهرت أولى أعمال «سيفجي سويسال» إلى النور. وفي كتابتها حرصت على تناول تفاصيل الحياة اليومية ووصفها بدقة شديدة، فضلًا عن تناول موضوعات كالأزمات الوجودية، والاشتراكية، وموضوعات المدينة... وغيرها من موضوعات مهمة. وأعطت نصيبًا كبيرًا من كتاباتها للحياة اليومية الحقيقية. كذلك تُعد فترة السبعينيات وما بعدها أزهى الفترات بالنسبة لكتاباتها.

نشرت رواية «السير» عام ١٩٧٠، ورواية «وقت الظهر في مدينة جديدة» عام ١٩٧٣، ورواية «شفق» عام ١٩٧٥. في هذه الحكايات تحكي «سويسال» أنها تركت مدينة «بافاريا» وجاءت لتركيا (وهي لم تذهب إلى هناك من قبل)، ولكنها كانت مليئة بالحيوية. وتنظر لتركيا على أنها «ينبغي أن يعرفها العالم، والأدب العالمي». اشتهرت بكونها كاتبة دخلت في صدام مع النظام العسكري الذي كان يحكم في السبعينيات، واتُهمت بأنها مروجة للبذاءة فاعتقلت، وَقُدِّمَتْ للمحاكمة واستجوبوها ثم سُجنت، وذلك لأن النظام العسكري لن يدع أمثال «سيفجي»، بل كان يقضي عليهم، ومع ذلك ناضلت كثيرًا في سبيل ما تؤمن به. تعرفت عليها عام ١٩٧٤، عندما كُنت في أنقرة. كثيرًا ما قابلت «سيفجي» وتحدثت معها لمدة طويلة. حتى الآن لا أصدق أنها ماتت، الوقت مرَّ بسرعة كبيرة. كانت على يقين من أنها لن تعيش طويلًا، أربعون سنة، عمر قصير قطعت فيه شوطًا كبيرًا. كانت حادة الذكاء، ولديها قدرة على الابتكار بشكل هائل. ولو كانت عاشت لفترة أطول، من يعلم ماذا كانت ستفعل. فهي من الأشخاص الذين لا يقفون مكانهم، ولا يتراجعون، وعلى وعي كبير بجمهورها.

هذه هي الحياة، كلنا سنموت ولكن ستظل الأعمال هي التي تتكلم عنا.

والموت هو الحقيقة الوحيدة في حياتنا، ولكن الموت أخذ «سيفجي» مبكرًا. كانت تتقدم بجرأة لعمل أي شيء، وتتحمل مسؤوليته، ومسؤولية الأعباء الملقاة على عاتقها دون أن تضخم الأمور. فعلت ما بوسعها لكيلا تشعرنا بمأساة موتها المبكر، ومع ذلك شعرنا بحزنٍ شديد على فراقها. يظل الأشخاص الذين تعرفهم حتى بعد موتهم في ذاكرتك لمدة طويلة. حاضرة دائمًا في ذاكرتي؛ بابتسامتها، وذكائها الحاد، وسرعة بديهتها، وخفة ظلها، وإشراقاتها. وهي أيضًا حاضرة بكتاباتها، وبكتابات غيرها عنها. هذا ما أستطيع أن أقدمه لـ«سيفجي». ولقد انعكس حزني عليها سواء شئت أم أبيت، ولكن الحزن لا يليق أبدًا بها.

الرحلة من «العمة روزا» لـ «سيفجي سويسال»

"فوندا سويسال"

الموت هو أمر موجع للذين فقدوا شخصًا عزيزًا، خاصة لو كانت حياته قصيرة. للأسف، فقدنا «سيفجي سويسال» في عمر الأربعين، ومنذ ذلك الحين ونحن نتذكر رحيلها، ولكن يجب أن نحاول أن ننسى هذا، يجب أن نعرف قيمة الحياة، في هذا العمر القصير أنتجت «سيفجي سويسال» العديد من الأعمال القيمة، وبتلك الأعمال يمكننا إحياء ذكراها، لأنه اتضح أن الوقت موجع أيضًا كالموت. حاولت إعادتها للحياة مرة أخرى عن طريق تعاوني مع دار النشر لأجل إعادة طرح كل أعمالها من جديد. وعند البدء في العمل، كنت أتساءل ما هو أول عمل سأبدأ به، في النهاية تم اختيار عمل «العمة روزا» كأول خطوة لذلك. على الرغم من أنه ليس العمل الأول، وليس الأنجح على الإطلاق لـ«سيفجي سويسال» ولكن أرى أن «العمة روزا» سيكون الكتاب الأمثل ليتعرف القارئ عليها لأول مرة. هذا العمل الذي يضم أربع عشرة حكاية عن حياة «العمة روزا» كمثال أنثوي يبدأ من جدة «سيفجي سويسال» ومرورًا بخالتها، وتنتهي بـ«سيفجي سويسال» نفسها. والعلاقة الوثيقة التي صنعتها الكاتبة مع القارئ من خلال المواقف التي تتعرض لها «العمة روزا». هذه العلاقة أظهرت الجانب القوي والضعيف للمرأة ليس فقط من أجل الاعتراف، ولكن من أجل الدراية به. وبفضل ذلك الإدراك تم التصالح مع الرجال الذين غضبوا من الكتاب الأول «ناصية الغرام». إن «العمة روزا» تعد نقطة محورية في مشوار «سيفجي سويسال» الأدبي. عُرفت بكونها كاتبة في فترة انقلاب الثاني عشر من مايو، وعندما عاصرت هذه الفترة لم تتمكن من الكتابة عنها، وأولت اهتمامها للتعبير عن المرأة بمنتهى الشجاعة. ولهذا السبب، اخترنا «العمة روزا».

نُشرت «العمة روزا» لأول مرة في دار نشر «دوست» عام ١٩٦٨، ولاقى العمل اهتمامًا من الأوساط الأدبية، لكنه على الرغم من ذلك لم يُفْهَم جيدًا. ولهذا السبب، اتُهِم بالتغريب والتناقض. وقد لفتت انتباه الجميع شخصية المرأة التي عاشت وماتت في ألمانيا، تخلت عن زوجها وأطفالها دون النظر إلى الوراء، وحتى التمسك بحلم شراء ببغاء. مما أعطى الرواية طابعًا غريبًا، ولكون والدة الكاتبة ألمانية الأصل، مع وجود العديد من المشاكل التي يواجهها الروائيين في البلاد، والعديد من المشاكل الأخرى التي تواجهها النساء أيضًا، والتخوف من مواجهة المرأة خصوصًا لو كانت أجنبية؛ كان من المتوقع حدوث هجوم عليها.

***

سذاجة وغرابة تصرفات «روزا» ليست غريبة تمامًا بالنسبة لامرأة تعيش في تركيا في تلك الفترة. صحيح أن «سيفجي سويسال» رسمت شخصية «روزا» على أنها امرأة من مجتمع متقدم. امرأة تعيش في مجتمع، وينبذها، وتترك حياتها العادية وتعمل لكي تواصل حياتها دون الحاجة لأحد. في الواقع، بالنسبة لمجتمع لا يعترف بمثل هذه المساحة المعيشية للنساء، فإن «العمة روزا» غريبة ليس لأنها ألمانية، ولكن لأنها امرأة متحررة. وللتأكيد على هذا الاغتراب هو تجاهل ما قيل عن «العمة روزا» من أنها صورة بشعة لـ«الجهل الأنثوي» الذي يكمن في كل امرأة، بغض النظر عن مكان وزمان حياتها. «العمة روزا» هي لسان حال الكثير من النساء. هل يا تُرى الأنوثة تحتاج لكتاب لتفسيرها؟ وحتى ولو ذلك، فإن الحديث عن هوية المرأة، والاعتراف بها، وكفاح المرأة هو أحد أشكال الحداثة التي لم تظهر حينها في تركيا. باختصار «العمة روزا» هو أول عمل يناقش هذه المسألة في تركيا.

لعبت عائلتها وكذلك ما مرت به في حياتها دورًا كبيرًا في تشكيل هذا الوعي

المبكر لديها، ولكن كان المهم بالنسبة لها هو انعكاس ذلك على كتابتها، وهذا ما نراه في كتاب «العمة روزا». ربما أردنا التأكيد على أن «العمة روزا» تدرك أنها مختلفة في مجتمع لم يصل لهذا التحرر بعد - ونقصد بذلك تركيا في تلك الفترة -. وعلاوة على ذلك، فإن الأعمال التي كُتبت بعد ذلك تناولت مشكلات اجتماعية وسياسية دون التمييز بين الرجل والمرأة. ومع ذلك، لا يمكن أن نغير في حقيقة كون عمل «العمة روزا» هو أكثر عمل إبداعي لـ«سيفجي سويسال» ومن جهة أخرى، عند قراءة العمل، فإن القارئ سيلاحظ تناول الكاتبة للمشكلات النسائية الخطيرة. «العمة روزا» قد تكون امرأة ذات شخصية ساحرة، ويكمن وراء هذا السحر أن بعض النساء ليس لديهن القوة الكافية لكي يكنّ متميزات، وعندما يفشلن ينهضن مرة أخرى مستعيدات ثقتهن بأنفسهن، والتي تفقدها بعض النساء في تلك المواقف، وأن تُحكم صوتها الداخلي على أخطائها وليس من خلال آراء الآخرين. على الرغم من أن حياة «العمة روزا» تبدو وكأنها قصة فشل، فإن «روزا» التي لا تدع أي شيء يؤثر عليها، هي في الواقع أكثر نجاحًا كأنثى من معظمنا. من الصعب ألا نتعاطف معها أو نحزن من أجلها. والأكثر من ذلك، ستعجب بقدرتها على الاستغناء عن واجبها كأم أو زوجة. التخلي عن الأشياء، هو أكثر ما تعلمته «روزا».

في مقابلة قالت «سيفجي سويسال» إن العاطفة التي أرادت التعبير عنها في هذا المشهد، هي حقيقة أن التخلي حتى لو كان عن الدين لن يرفع من قدر المرء، أو حتى يجعل الآخرين يكرهونه. كل ما أرادت توضيحه هي لحظات ما قبل أو بعد التخلي، والتأكيد على هذا الشعور جيدًا. خلاف ذلك، ليس التخلي هو ما صنع «العمة روزا»، ولكن التجارب الكثيرة وخيبات الأمل التي تعرضت لها في حياتها. وإن سجنها الحقيقي هي الأنوثة التي كانت تُحسد عليها. «روزا» التي

كبرت، واقتربت نهايتها تدخل لممرات التي لا تعرفها، تتوهم أنه ربما يأتي نور لينير تلك الظلمة كباقي الروايات النسائية. «روزا» التي لم تتعلم من أحد شيئًا، ولم تعلِّم أحدًا شيئًا. الأيام الأخيرة التي عاشتها «العمة روزا» وسط دراما تقدمها في السن، وتجعد جلدها وما شابه ذلك من الحماقات النسائية.. المهم في الأمر أن نكون على دراية بتلك الأمور ونعرف كيفية التعامل معها.

لا يمكننا أن نقول إن حكاية «العمة روزا» تتحدث عن الأنوثة فقط، ولكن هي أيضًا نقد ذاتي للمرأة التي تعيش وكأنها رجل؛ لذلك حاولت «سيفجي سويسال» في حكاية «العمة روزا» معالجة الخيط الرفيع بين كون المرأة امرأة والرجل رجل. «سيفجي سويسال» التي قالت إنها بدأت الكتابة في «العمة روزا» عندما شعرت بأنها ليست ناجحة، وليس لها فائدة، وغير قادرة على فهم أي شيء. وعن طريق السخرية والتهكم من وضع المرأة الوحيدة، بل وربما بتلك الطريقة استطاعت فهم شخصيتها أكثر، وبدأت بعدها بفترة جديدة الكتابة بشكل ناجح ومدرك وأكثر نضوجًا. الأعمال التي نُشرت بعد «العمة روزا» سيثبت أن موت «روزا» لم يذهب سدى. ربما كان الشيء الوحيد الذي يمكن قوله هو إنني - بصفتي ابنتها - التي لم تعرفها من قبل، عَرفتُ وأحببتُ والدتي بكتُبها، وخاصة مع «العمة روزا»، يمكن أن تعرف عزيزي القارئ مدى الفراغ الذي أعيشه عندما أنظر لصورتها على غلاف هذا الكتاب، ولكن كُتبها تكفيني.

"العمة روزا» ورياضة الجمباز

عندما كانت «العمة روزا» في الحادي عشر من عمرها، رأت صورة للملكة "فيكتوريا» بملابس الفروسية منشورة في مجلة «سيزله باش باشا» العائلية التي تصدر أسبوعياً، وقرأت الآتي:

"تفقدت الملكة ذات الثمانية عشر عاماً، كتيبة الفرسان، وفي أثناء الجولة نالت جلالة الملكة إعجاب شعبها وكتيبة الفرسان بملابسها الرسمية وحذائها المنقوش وقبعتها العسكرية، والتي كانت موضة آنذاك".

بعد هذه الكلمات المبهرة، قررت «العمة روزا» أن تكون لاعبة جمباز في السيرك بعد فترة وجيزة من ثبات صورة الملكة مع الأحصنة في ذاكرتها.

وعندما ذهبت لتخبر والدتها بقرارها، كانت الأم حينها تقرأ هذا الجزء من الرواية المنشورة في المجلة الأسبوعية:

"إن الشهور كالسنوات، الأيام كالأسابيع وهو بدلًا من أن ينظر بقلب مفطور إلى بطن أخته الآثمة، يتحاشى النظر إليها خجلًا من البكاء على ناكرة المعروف هذه، التي لا تستحق ذرف الدموع من أجلها، ولكن في الحقيقة هو يحاول أن يغلظ فؤاده الرقيق بمشاعر الكره تجاه الطفل البريء الذي سيولد».

تركت أم «روزا» الرواية متعجبة وهرعت إلى والد «روزا»، كان والدها رجلًا حازمًا، ومع ذلك كان يحرص على أن يضمن لابنته مستقبلًا واعدًا حتى بلوغها الثامنة عشر. ومع ذلك سمح لها بالذهاب إلى السيرك، لأنه يقف عاجزًا أمام تذمُّرات صغيرته. ولم ينسَ أن ينبِّه مدير السيرك بأن يتوخى الحذر معها. وعلى الفور في ذلك اليوم، امتطت «روزا» حصانًا هائجًا مما أدى لسقوطها، لكن هذا لم يمنعها من الشعور بالانبهار بالتنانير ذات الطيات الملونة والملابس المبهرجة التي يرتديها العاملين بالسيرك، لدرجة أنها أصرت في المنزل على تعلم ألعاب جمباز متناسية ألم مؤخرتها الذي لا يُحتمل. ولكنها نسيت كل ألعاب الجمباز بعد الضرب المبرح الذي تلقته من والدها وتسبب في تحطيم معنوياتها.

Telegram:@mbooks90

عندما تُوفي والدها قبل أن تبلغ الثمانيَ عشرة عامًا، أصبحت والدتها الوصية عليها، وحينها لم يُعارض زوج أمها الجديد رغبتها في أن تكون لاعبة جمباز وذهبت للسيرك مرة أخرى. هذه المرة عند رؤية المدير لها بدون سابق إنذار لم يعاملها المعاملة السابقة نفسها، وأدركت حينها كم هو رجل رخيص!

أدركت «روزا» أن الفتاة التي ليس لديها الرغبة في أن تكون لاعبة جمباز تمتطي الخيل، في حين أن الفتاة التي تريد أن تكون لاعبة جمباز لا تمتطي الخيل

أبدًا.

***

الآن لم تعد تسقط من على ظهر الحصان، وفي مقابل ذلك كانت تجمع مخلفات حيوانات السيرك في أكياس وتذهب لكي تبيعها للفلاحين. كانت تكره ألم ظهرها، فهو الشيء الوحيد المتبقي لها من معاناة ركوب الأحصنة وجمع السماد. يعتقد علماء النفس أن الإمساك الشديد الذي تعاني منه «روزا» في كبرها يرجع إلى مشاكل الطفولة تلك، ولكن مع ذلك، يُعد الحدث الأكثر تأثيرًا في حياتها هي الأيام الأولى للحرب العالمية الثانية. في السنوات الأولى للحرب والتي كانت تشتهر بزي الضباط الساحر وجاذبيتهم التي لا تُقاوم، كانت «روزا» كل ليلة تقريبًا تراقب من فتحة الخيمة لاعبة جمباز وهي تمرن، تصنع فتحة بأصابعها لكي تشاهدها، وعلى الرغم من رائحة علف الحيوانات التي لا تفارق أصابعها، كانت «روزا» تنسج الأحلام وهي تقوم بالعروض البهلوانية على الحصان.

كانت تتخيل قائلة:

- الآن سوف أقفز، لن أسقط هذه المرة، أنا فوق الفرس، ها أنا أرفع ساقي، وهم يصفقون لي بحرارة. من هذا الذي في المقدمة؟ ملازم ساحر بعيون تلمع ينظر إليَّ، عاشق بجنون، يأتي كل ليلة لكي يراني ويذهب، سوف أعرض أمامه عروضي المدهشة. إذا أسرع الخيل أكثر من ذلك سأقفز قبل أن أسقط.

وفجأة علَا صوت الاصطدام وانتشر الحطام وبعد ذلك ظهر نور يتلألأ أكثر وأكثر، وصوت صرخات، ونار مشتعلة، وأصبح الجو دافئًا. ربما ذلك بسبب اللهيب الذي يحتضن الحلم، ولكنه لم يكن كذلك.

فاقت «روزا» من حُلمها على النار التي تحيطها من كل جانب. رأت تسارع

الناس لمكان الحريق، الأعمدة التي تحترق، سباب المدير، المصابيح الملونة التي اسودت من الدخان، ضاقت فتحة الباب من زحام الناس عليها. ولكن هي، ما زالت تتخيل نفسها وهي تقدم عرضها الأخير لحبيبها.

وظلت تهزي قائلة:

- رفعت قدمي تمامًا، سمعت صوت تحطم، وبعد ذلك التقطت أذني صوت الصراخ، فهمت من ألم رأسي الذي لا يُحتمل أن حصاني قد فزع وألقى بي واصطدمت رأسي بالسياج المحيط بحلبة السيرك. ها هو الحصان يقترب مني مصدرًا صهيلًا قويًا. ولكن لم أخف، أعلم من لمعان عينيه أنه سينقذني. ها هو عبر السياج. في البداية، كان كالحمل الصغير المشدود بلجام ولكن بعد ذلك جاء إليّ، قفزت على ظهره. انطلق الخيل عندما ضغطت بالحذاء اللامع على جوانب السرج وخرجنا من الخيمة. ركضت بالخيل وتركت خلفي الصراخ، الدخان واللهيب.

***

لم يكن ضروريًا أن توسع «روزا» الفتحة بإصبعها فاللهيب صنع فتحات ضخمة للمرور منها. لاحظت «روزا» فزع الحصان ثم رأت فتاة الجباز تنهض من مكانها كشاة مجنونة. لم ترَ «روزا» المكان الذي كانت ترقد فيه الفتاة، ولكن رأت الملازم وهو يقفز من على السياج. رأته وسط الصراخ، والدخان. أوقف حصانه ثم ركب وفر بسرعة من مكان الحريق. لاحظت أنه قد اعتدى على لاعبة الجباز. حينها تذكرت «روزا» الصورة الملتقطة للملكة «فيكتوريا» في مجلة «سيزله باش باشا»، وأدركت حينها أنها لن تكون لاعبة جباز.

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"العمة روزا"

في مدرسة الراهبات

تركض خمس فتيات في الساحة. رأين أشجار الصنوبر مزينة بزينة عيد الميلاد، في الواقع الركض في مدرسة الراهبات صعب بسبب الطوق الملتف على الخصر والملابس السوداء الشبيهة بملابس الراهبات. كم من المحزن أن يروا أشجار الحديقة المقلمة والمزينة بزينة عيد الميلاد دون القدرة على الخروج للعب تحتها! أما «روزا» فكانت تلهو، منقطعة النفس من الجري ومتعرقة للغاية. كانت تبدو كأميرة، بل كحورية جميلة. نعم، اعتقدت أنها كذلك. تركض في صباح أيام الأحد لتودع أباها قبل أن تذهب إلى المدرسة.

وتقول له:

٢٧٠٧٢٣٩٠٦٥
CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

- لا تشرب كثيرًا يا أبي، لا تنفق المال بل ادخره، حتى إذا جاء أمير ليتزوجني أجد جهازًا يليق بي.

وبعد ذلك ترى أمها وتقول:

- أحبكِ، ولكن أرجوكِ أخبريني أنكم وجدتموني في قفص، وأنني في الأساس أميرة.

هي مشاغبة، تستمتع كثيرًا بالأمور الممنوعة في مدرسة الراهبات. هناك أربعة فتيات أخريات لم يجرؤن على الجري مثلها وبالطبع لم يردن مخالفة القواعد. إن المحظورات ليست للأميرات. لا يمكن للأميرات أن يخالفن القواعد مهما كانت، لأن يومًا ما سيأتي الأمير وينقذها. عطشت «روزا» من الركض. جرت إلى صنبور مياه ونهلت منه. ضربت يد ما على كتفيها بقسوة. نظرت لها «روزا» بعيونها البريئة، ولكنها خافت من نظرات الراهبة «ماريا شوستر» ذات العيون الزرقاء.

قالت «ماريا»:

- أنكِ تشربين الماء باستمرار. هل تعلمين أنكِ مذنبة بحق نفسك، فأنتِ آثمة لأنكِ لا تكبحين شهواتك.

ردت «روزا":

- أنا لست مذنبة، لأن داخلي نقي. أنا أميرة، ولدي قلب نقي وطاهر، لا يمكن لشيء أن يدنسه حتى لو كان أنتِ.

غضبت الأخت «ماريا» بشدة وأمرت بحبس «روزا» في القبو. ظلت «روزا» تدعو السيدة العذراء أن تنجيها وفكرت في أن كل الكاثوليكيين مدنسون وسيئون؛

لأن السيدة «مريم» كانت عطوفة للغاية، وأنجبت سيدنا المسيح ولم تكن كاثوليكية.

***

تعلمت «روزا» في مدرسة الراهبات أن الجسد شيء نجس. كان ممنوعًا خلع الملابس في أثناء الاستحمام. كن يغتسلن بالثوب الداخلي. ترى لماذا؟ يدَّعون أن ذلك سلوك ينم عن الاحتشام والعفة. في أحد الأيام عندما كانت «روزا» تلهو كعادتها، سقطت وجرحت قدميها. لم تأذن الراهبات بأن تضمد جرحها أو يقدم لها حساء الحمص الأسود الذي يُقدم عادةً للمريض. والتهب الجرح أكثر. أخبرتها الأخت «ماريا» أن هذا عقاب من الرب، وأنها لن تضمد جرحها لأنها لم تنسَ آلامها الجسدية، وتكبح شهواتها، وأن هذا الألم ربما يكون خطوة صادقة لرجوعها إلى الرب. ظلت «روزا» تفكر في أنه كيف يمكن للمسيح ذي العيون الزرقاء أن يكون ابنًا لربٍّ مُنْتَقِم كهذا؟ ثم توسلت في صلاتها للأب الحقيقي.. للمسيح ابن السيدة «مريم».

***

جاء عيد الميلاد المجيد، بدأت التحضيرات على عجالة لهذا اليوم. اختارت الأخت «ماريا» لـ«روزا» دور ملاك. بعض الفتيات ستكونن ملائكة وبعضهم الآخر أطفالًا فقراء. وبعد ذلك يقف المسيح وسط الملائكة ويهادي الأطفال المساكين الهدايا ويسعدهم. تبلل الأخت «ماريا» شعر الفتيات اللواتي سيؤدين دور الملاك بمياه مسكرة ثم تجدل خصلاتهن. وعندما تتفكك الضفائر يصبح الشعر مموجًا. لم تحتمل «روزا» هذا الدرس اليدوي ففكت خصلات شعرها. لاحظت أن شعرها أصبح مموجًا، تمامًا كالأميرات.

غضبت الأخت «ماريا» من فضولها الزائد وقالت لها:

- تعلمين أن إثْمك هو أنك تهتمين بجمالكِ وزينتكِ، وعقابًا لكي لن تلعبي دور الملاك، وستؤدين دور الطفلة المسكينة.

***

في تلك الأمسية، ارتدت الفتيات ملابس بيضاء، وعلقن أجنحة بيضاء، ولمعت التيجان بشكل نجوم على الشعر الموج المنسدل على أكتافهن. أما «روزا» فارتدت ملابس ممزقة، تمامًا كطفلة متشردة. كانت تعيسة بِشَكْل لا يُوصف. في الوقت الذي كانت فيه الفتيات على المسرح بجانب المسيح، شعرت بالقهر لدرجة أنها لم تتماسك وانهمرت دموعها، فكانت أفضل من أدى دور الفتاة المتشردة. بعد انتهاء العرض قام البابا الذي أدى دور سيدنا المسيح بإهدائها صليبًا ومعه مجموعة من الفطائر. فَرِحَت بهم فبدت كمسكينة أسعدها المسيح.

***

في يوم ما، عندما سئمت الراهبات من أسئلة «روزا» الكثيرة عن شكل الرب، وشعره، ولون عيونه، وعمره، ورأسه، وطوله، وبيته.. عاقبنها بتجفيف أطباق المطبخ. كانت تستمتع كثيرًا بوجودها في المطبخ، لأنه يوجد هناك ما تسد به جوعها في أي وقت. كان واضحًا للغاية حبها للأكل، حينها كانت بعض من الراهبات يخبزن الفطائر. فطائر طويلة وهشة. سُميت تلك الفطائر في «بافاريا» اسم «قضيب الولد».

لحظت عينا «روزا» عندما رأت الفطائر وصرخت قائلة:

- ما أجمل «قضيب الولد» هذا!

في اليوم نفسه أرسلوها لأمها بالقطار. وصل القطار لبلدة عائلة «روزا» متأخرًا عن ميعاده بيوم. وكانت الحرب قد وصلت لشوارع البلدة كذلك. الحرب وصلت لكل مكان حتى غرف الطعام، ودورات المياه. كان من المتوقع ألا تصل الأمور لذلك. لم تُقصِّر الحرب أبدًا، دمرت كل شيء. أخذت في البداية الآباء ومن بعدها الإخوة.

في صباح يوم من الأيام، قرأت «روزا» في مجلة «سيزله باش باشا» خبرًا عن قصف البلدة التي توجد بها مدرسة الراهبات، وَمُحِيت المدرسة على إثرها فأدركت حينها أن الأمير قد انتقم لها.

حيوانات «العمة روزا»

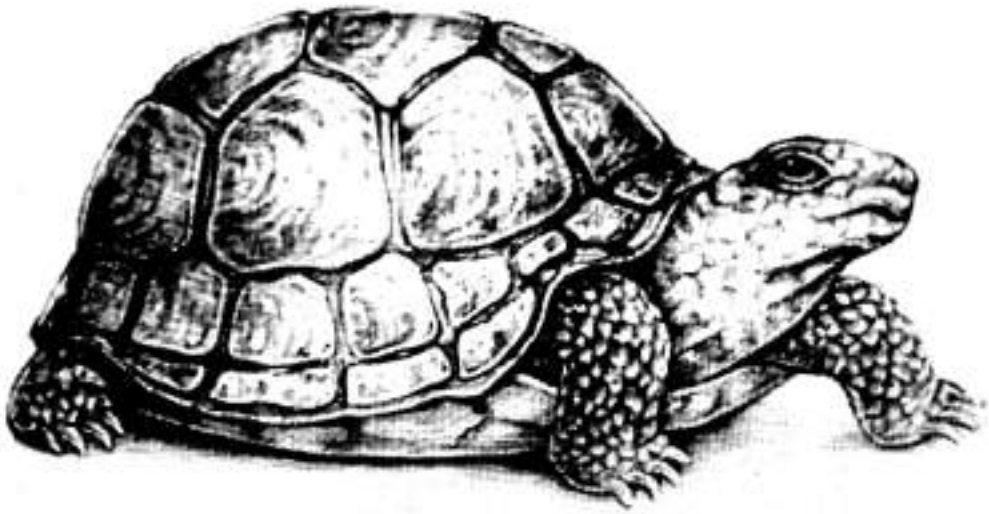

وجدت «روزا» سلحفاة في اليوم الذي انتهت فيه الحرب، السلحفاة ذلك الحيوان الذي يحمل بيته على ظهره. وجدته هناك بين الحطام. أحبته، وأحضرته إلى منزلها. تدمرت البيوت جراء القصف، تَذكرت أنهم بقوا في واحد من البيوت التابعة لحملة «يدًا بيد مع الشعب»، والتي تنظمها جمعية «الملائكة ذو القلب الوردي» الخيرية. أيقنت ذلك اليوم أن إحساس البيت مختلف، وأنه لأمر مهم أن تكون الأم مسؤولة. أحبت أيضًا القطط، ثم حيوانات الغابة المتوحشة، لكنها أحبتها من بعيد.

***

كانت تستمتع بالرقص في أمسيات السبت. تعلمت رقص «الفالس»، و»التانجو»، و»سوينج». أحبت قراءة حكايات الحب التي في مجلة «سيزله باش باشا». كانت تتزين لتلفت انتباه الشباب. تعجبها نظرات الشاب الذي

تقابله عندما يدخل ليشتري من بائع الأيس كريم الذي يقف في زاوية شارع «كونيج».

***

في يوم كهذا، في يوم سبت من أيام السبت المفعمة بجموح الشباب، ذهبت مع ابن جيرانها «هانس» للرقص في حانة الحي. شربت ثلاثة أكواب من البيرة. لسبب ما دفع «هانس» هذه المرة ثمن البيرة بالكامل. تصببت «روزا» عرقًا في الرقصة الأولى، وفي الرقصة الثانية تعرقت أكثر وأكثر، حتى أصبحت مغطاة بالعرق تمامًا، وتوردت وجنتيها. ترتجف يد «هانس» بقوة. كانت تخجل من خروجهما معًا، ولكنها لم تستطع أن تعترض على سيرهما في الممشى المؤدي للغابة، في الحقيقة لم تعترض بشكل كافٍ. فجأة تحول «هانس» لحيوان خرج من الغابة، وكأن الذي أمامها ليس إنسانًا إنما حيوان، حيوان ماكر مترقب في مصيدته، حقًا هذا ليس هو. سحبت يدها وحاولت الابتعاد عنه. الغريب أن هذا الحيوان الذي تجسد وظهر فجأة، رجع «هانس» مرة أخرى. «هانس» الأحمق، الذي كانت ترقص معه، الذي دفع ثمن البيرة ذلك اليوم.. الذي لن يدري ولن يفهم أن «روزا» يمكنها أن تضاجعه، وليس لديها مشكلة في ارتكاب بعض الحماقات.

***

حملت "روزا" بعد ذلك اليوم، حملت من "هانس". حينها صدّقت ما هو مكتوب في حكايات الحب المبتذلة التي كانت تُنشر في المجلة، والتي كانت تؤكد أنه بمجرد أن يناما معًا تصبح حاملًا. تزوجت "روزا" من "هانس" لكيلا تكون الفتاة التي دنست شرف عائلتها مثل فتيات الحكايات التي تقرأها، ولكيلا يولد ابن

زنا مسكين.

***

قبل أن تحب القطط أحبت الكلاب، لأنها تؤمن بمبدأ واحد وهو حماية أصحابها ومنازلها أكثر من أنفسها، وبعدها عصافير الكناري والدجاج. أحبت ذلك الطائر المزعج "الببغاء" وكل الحيوانات الأليفة، وأحبت السلحفاة أيضًا، أما عن حيوانات الغابة المتوحشة فقد نستهم أو ظنت أنها نستهم، لأنها فهمت أن ما كانت تقرأه في الحكايات كان صحيحًا ولكن للأسف بعد فوات الأوان. فهمت أنها أصبحت المرأة التي دنست شرف عائلتها عندما ضاجعت "هانس" الذي لا تحبه، والذي تزوجته لكيلا تنجب بعد تلك المضاجعات أبناء زنا. أدركت أن ما هو مكتوب في تلك الروايات لم يكن عميقًا، ومحسوسًا لهذه الدرجة.

وجدت "روزا" سلحفاة في اليوم الذي انتهت فيه الحرب، السلحفاة - الحيوان الذي يحمل بيته على ظهره - وسط الحطام فجلبتها لمنزلها.

البيوت تدمرت، جراء القصف، تَذكرت أنهم بقوا في واحد من البيوت التابعة لحملة "يدًا بيد مع الشعب"، التي تنظمها جمعية "الملائكة ذو القلب الوردي" الخيرية. فهمت في ذلك اليوم أن إحساس البيت مختلف، وأنه أمر مهم أن تكون الأم مسؤولة. تلك الأحداث المذكورة مصدرها هو ذاكرة "العمة روزا" إذ فهمت الحياة بتلك التجارب التي مرت بها.

طرد "العمة روزا" من الكنيسة

في صباح يوم الأحد، جلست "روزا" تتابع ذهاب الناس إلى الكنيسة، وهي ترضع صغيرها الثالث؛ السيدات المسنَّات، والشابات، والأطفال. أما في الحانة، فيتجرع الرجال آخر رشفة من البيرة ويمسحون وجوههم بأيديهم الخشنة، والحمراء، والمتورمة. بعد أن رأتهن زوجاتهم جالسين هناك في موعد الصلاة،

فيقمن بضربهم بقبعاتهم حتى ينهضوا، ويخرجوا إلى الصقيع، ليبحثوا عن أطفالهم الصغار ويذهبوا إلى الكنيسة.

أصوات أجراس الكنيسة، الترانيم، الابتهالات، الستائر، الرسومات، القناديل، صور الأطفال الصغار التي ترفرف أجنحتها الملائكية، صور الملائكة. وصوت البيانو يدوي.. تذكرت "روزا" حينها صباح زفافها من زوجها منذ سبعة أعوام. اعتادت تذكر تلك اللحظات عند سماعها أصوات البيانو، مؤخرًا لا تحضر قداس يوم الأحد بسبب فترة رضاعة ابنها الثالث. هذه المرة استمرت الصلاة والترانيم لفترة طويلة. جلست تتابع مجموعات الناس الخارجة من الكنيسة، مع هطول المطر. مَرَّ أمامها الأطفال وهم يلعبون بكرات الثلج. طارت كرة منهم وكسرت زجاج شرفة بيتها. وامتلأ البيت بالثلج والهواء البارد.. نام الطفل بعد أن شبع.

ظل صدر "روزا" متعريا أمام فتحة النافذة حتى بردت، عندما رأينها السيدات العائدات من الصلاة أشحن بوجههن عنها ونظرن لأزواجهن شزرًا. لم يلحظ زوج "روزا" أي شيء من هذا، كل ما كان يفكر فيه هو الإوز المشوي، وفطيرة التفاح، وفنجان القهوة الساخن، المعتاد عليه كل صباح أحد.

فاقت "روزا" من شرودها على بكاء أطفالها الثلاثة، فزرَّت أزرار قميصها، ثم مشت بلباسها الصباحي الذي يصل للأرض، ونزلت على السلم الخشبي وفتحت باب الخزانة، بداخله صور باهتة، دفتر أوراقه مصفرة، وفي داخله زهرة بنفسجية اللون مجففة وذابلة ورسالة.. رسالة ما. أغلقت الخزانة جيدًا، حينها سمعت زوجها وقد عاد إلى المنزل. كان كل شيء كالمعتاد عليه لكل يوم أحد؛ الإوز مشوي جيدًا، فطيرة التفاح كانت لذيذة للغاية، أمَّا زوجها فكان يمشط شعره اللامع ثم يفرقه من الوسط. كان لـ"روزا" مشد خصر قيم، انتفخت بطنها بسبب الطعام الذي تناولته. كان المشد ضيقًا، وجيدًا للغاية. خرجت من غرفتها

ولكن باب البيت كان موصدًا من الداخل. كان زوجها يقفل الباب كل أحد بعد الظهر عندما يعود من الكنيسة.

حاولت أن تتذكر الرسالة التي رأتها، لم تتذكر وجه الرجل، كانت تمر السفن أمامها دائمًا، أصوات صافرات القطار، صافرات المصانع، صخب المدن الكبيرة، المدن الكبيرة كالتي تُنشر فيها مجلة "سيزله باش باشا".

***

حاولت فتح الباب، كانت حائرة ومضطربة. الحيرة والاستبداد، ظلم غير متوقع من زوجها الذي يصرخ بصوت عالٍ، ويلّكم الباب بقوة.

الصباح، الكنيسة، الإوز المشوي، فطائر التفاح، وضرب الباب.. كل هذا قطع آخر حلقات الوصل بينها وبين زوجها. في النهاية استطاعت "روزا" تذكر وجه الرجل.

كتبت رسالة وتركت ثلاثة أطفال، منهم رضيع، تركت خادمة مدربة على عمل الإوز المشوي وفطيرة التفاح، وتحضير المائدة بسهولة، وترتيب الخزائن. تركت حديقتها الصغيرة المزروعة والتي أسمتها "مارجريتا".. تركت المنزل ذا السلالم الخشبية، والسقف العالي، هجرت زوجها المسكين، تركت حياتها وكنيستها وتركت كل شيء وذهبت.. ذهبت إلى حيث مداخن المصانع، صفارات السفن، في الترام حيث الجميع واقفين، بين مَن يدوس على الأرجل ولا يقول "عفواً" أو "مرحبًا" أو "صباح الخير". هجرت أوقات ما بعد الظهر يوم الأحد، والأمسيات، تشردت وبقيت في الشوارع، تركت ملابسها وجعابها ورسائلها المطوية وبداخلها زهرة البنفسج الزابلة.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُحكى في مجلة "سيزله باش باشا"، أن هناك امرأة تركت زوجها وصغارها، كاثوليكية، رحلت عن القرية، تلك القرية التي يعيش فيها أناس محترمة ويعظ فيها كاهن عفيف. هذه السيدة كانت تخدم الكنيسة، يُقال إنها جُردت من ذلك الشرف، وطُردت من الكنيسة، كل يوم أحد كانت السيدات وأطفالهم وأزواجهم ذو الرجولة التي لا تُحتمل يستمعون لتلك القصة، دائمًا يحكي البابا عن تلك المرأة.. "العمة روزا". أصبح زوجها بطل القرية، تتسابق النساء كل أحد لتحضير الإوز المشوي وفطيرة التفاح له.

الآن، تنتظرها هاوية، سقوط. ما المتوقع أن تكون نهاية بائسة لحياة عجوز آثمة. أم هل هناك حياة سعيدة لآثم يموت دون الاعتراف بذنبه؟ هل من المتوقع أن تنعم بحياتها بعد ذلك؟

***

صافرات السفن، والمصانع، شخص ما يدوس على قدمك ولا يقول "عذرًا" أو "صباح الخير"، أليس عيبًا أن تختلط بالناس ولا تقول "مرحبًا". هناك أصبحت "روزا" بائعة جرائد في المدينة الكبيرة التي ذهبت إليها. كانت تبيع مجلة "سيزله باش باشا". وفي الأعلى يجلس زوجها الجديد عازف الكمان. تكسب "روزا" من بيعها للجرائد الكثير من المال.

"العمة روزا"

والعمل في المقابر

تُوفي زوج "روزا" الجديد في صباح يوم الأحد. عندما كانت تطحن القهوة في المطبخ. فكرت في أن زوجها قد اشترى كفنًا باهظ الثمن وذلك قبل بيعها للدكان. تدمرت البناية ذو الثلاثة طوابق التي في شارع "كونيج" وذلك بسبب الحرب، ولم يتبقَ سوى دكان أو اثنين صمدوا من بعد التصليحات. لم تؤثر الحرب على حركة البيع والشراء، بل باعت "روزا" الكثير والكثير من الجرائد. باعت الجرائد وخصوصًا الأعداد التي تتكلم عن "الاتحاد مع موسكو"، وأخرى بها "قوائم بأسماء الشهداء"، وكذلك "سقوط ألمانيا"... وغيرها من عناوين الجرائد.

كانت البطاقات التذكارية لنجوم الأفلام، وخصوصًا تلك التي للمغنية والممثلة

"زاره ليندر" والممثلة "ماريكا روك" تُباع بسرعة الضوء. تغيرت الصورة النمطية للشباب المرتبطة بالقهوة وأصبحت مرتبطة أكثر بعلب السجائر. في فترة نهاية الحرب قلت مبيعات مجلة "سيزله باش باشا" الأسبوعية التي تصدر يوم الأحد، لأنه أصبح يومًا مخصصًا لزيارة المقابر.

أما عن الروايات..

كانت هناك مجموعة من الروايات الأجنبية مثل: "بين مخالب أسد النيل"، و"محبوب مهراجا"، و"عاصفة الصحراء"، والتي تُنشر تباعًا في المجلة أيضًا، وثمنها يذهب كتبرعات من الجمعيات الخيرية لضحايا القصف. لم يعد أحد يقرأ الأخبار بعد الحرب.

أصبحت صفحات الإعلانات جاذبة أكثر لانتباه العجائز الفارغين.

وتلك بعض منها:

"رجع زوجي من سيبيريا. أبحث عن شاب يساعدني، سيكون مساعدًا لي في محل بقالتنا.. عمره ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، سليم، دون سوابق، يُقدم الطلب عن طريق صندوق البريد".

"والد زوجتي الشهيد، الجنرال الوطني، ترك إرثًا لزوجتي عبارة عن مزرعة، نبحث عن رجل، في مقتبل العمر، متعاون ويساعد في إدارة المزرعة".

"بيتي الذي جمعت أمواله لسنوات مع زوجي الشهيد تدمر في الحرب. أريد من يساعدنا في إعادة ترميمه ويكون جزءًا من عائلتنا".

في الحقيقة "روزا" ليست بحاجة لعمل إعلان للدكان. زوجها عازف الكمان لا يتدخل في أعمال الدكان. كانت منذ أن بدأت بهذا العمل مرورًا بعمليات البيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشراء ثم بيع الدكان تتصرف من تلقاء نفسها تمامًا. من المعروف أن الرجل هو من يصرف على المنزل.

"يجب أن نحسن معاملة الأزواج". بتلك الطريقة كانت ترد عندما يسألونها "لماذا لا يساعد زوجك في أعمال الدكان؟" وكانت تجيب:

- من سيحب امرأة لديها حياة كتلك التي لدي؟ أغلق الدكان في المساء وأرجع للمنزل متعبة. كما أن لزوجي طريقة تفكير مختلفة، دائمًا يقول أنا لست رجلًا مستقرًا على الإطلاق.. لن ألبي احتياجات المنزل. حكى لي قبل ذلك عن العادات والتقاليد الهندية، فالمعتقدات هناك مختلفة تمامًا. هل أي واحدة منكم يخبرها زوجها عن الثقافات المختلفة ويعزف لها الكمان مثل زوجي؟

استشاطت زوجة المستأجر غضبًا من كلام "روزا"، ثم قالت:

- أنا زوجي لم يذهب إلى الحرب لأنه مريض قلب.

أما عن السيدات اللواتي ماتَ أزواجهن في الحرب فلم يذهبوا إلى الدكان بعد ذلك.

وضعت "روزا" القهوة على الموقد، ركلت قطتها، ثم فكرت في أنها تواجه مشكلة مادية بعد نفاد المال الذي حصلت عليه مقابل بيع الدكان. سَبَّت بشكل لا يُوصف المساعدات الأمريكية للبلدية التي هدمت كل الدكاكين على طول الشارع من أجل بناء ناطحة سحاب في شارع "كونيج. ثم فكرت أنه من الأفضل لها أن تجهز الفطور حتى لا يبدأ زوجها في مناقشة مشكلة غابات "فيينا".

في تلك اللحظة، مات زوجها. سمعت جسده يهوى على الأرض، وصوت

الكرسي يقع، حينها أدركت أنه مات.

***

لم تقم أي مراسم لتشييع الجنازة، فقد محت "روزا" من جواز سفر زوجها خانة الديانة، وكذلك لم تقم بتعميد طفليها منه. وقف سكان الدور السادس لمتابعة مراسم الدفن الغريبة، فقد أوصى زوجها بحرق جسده تبعًا للتقاليد الهندوسية وقد نُثر رماد جسده في المقبرة. كان على يمين قبره مقابر تم الاعتناء بها بشكل فائق، أما على اليسار فالعكس تمامًا. المقابر التي في اليمين مزروعة بالورود والحشائش الأمريكية، ولكن التي على اليسار كان يُرثى لحالها حيث أعقاب السجائر، والأعشاب الضارة، والأشواك، والحجارة. الأشخاص الذين جاؤوا لدفن الرجل نظروا باشمئزاز لحال المقابر التي على اليسار، بينما أعجبتهم التي على اليمين.

أدركت "روزا" أهمية أن تشق طريقًا جديدًا لحياتها القادمة. يا له من حظ! تزامن وفاة زوجها مع نفاد أمواله ودُفن بين قبرين أحدهما جيد والآخر ليس جيدًا بالقدر الكافي.

***

في الأحد التالي لدفن زوجها كان هناك إعلانات في مجلة "سيزله باش باشا" عبارة عن صورتين؛ على اليسار صورة رجل أصلع، على اليمين كان هناك الرجل نفسه، ولكن بشعر غزير.

وكان مكتوب تحت الصورة الأولى بالخط العريض: "قبل"، وكذلك تحت الصورة الأخرى بالخط نفسه: "بعد". ومكتوب تحتها هذه الجملة:

"نعم، أعزائي القرّاء، بعد استعمال منتج "ثمرة" تحدث المعجزة".

كانت تحتهما أيضًا صورتان؛ على اليسار سيدة تعاني من السمنة المفرطة تجلس على كرسي صغير، وعلى اليمين السيدة نفسها تستلقي على أريكة كعارضات مجلة "بين أب"، و"قبل" و"بعد"، ومكتوب تحتها: "المستحيل أصبح ممكنًا، بمجرد تناول حبوب "ليمبرا" ستصبحين كعارضات الأزياء".

صورتان أخريان؛ في الصورة الأولى القبر، الذي على يسار القبر المدفون فيه زوج "روزا". في الصورة الثانية، تقف "روزا" عند القبر المُعتنى به على اليمين. و"قبل" و"بعد"، ومكتوب الآتي: "بالتأكيد لا تريدون أن تبدو مقابر أحبائكم كالمقابر التي على اليسار، لذلك نقدم لكم "شركة روزا لتنظيف المقابر". حينها ستبدو مقابركم مبهجة كتلك التي في الصورة".

وأسفلها صورة تتوسطها "روزا"، تحمل في يديها جاروف، على يمينها ويسارها طفليها من زوجها المتوفي، وفي أيديهم دلو وجاروف. وقد حصلوا على عروض عمل مجزية، لكن هذه السعادة لم تدم طويلًا، وذلك لأن مسئولي المقابر منعوا التعامل مع تلك الشركة، وحذروا من إعطائها المال، وتصدوا لمنع الربح من هذا العمل، وقاموا بإضراب لتهديد البلدية. وَبِنَاءً على ذلك أطلقت البلدية حملة "البلدية تهتم بالمقابر". وهكذا توقف عمل "روزا" ولكنها الآن تستطيع أن تدبر أمرها لفترة إذ إنها كسبت قدرًا كافيًا من المال لدرجة مكنتها من صنع كمان من الرخام ووضعه على قبر زوجها المتوفي.

"العمة روزا" تعود لزهورها الملونة

الورود الذابلة، الصبغات المائية، استلقت "روزا" أمام الورود الملونة. على شفتيها وضعت بودرة وردية. سرحت في الصورة التي في يديها.. صور زوجها قبل أن يذهب إلى الحرب.

وتقول: "سيأتي الآن". تقولها وكأن زوجها ذهب إلى رحلة عمل وليس حربًا. هي امرأة طفح كيلها من غياب زوجها. تضع على شفتيها أوراق الزهور، ولكن الأوراق أصبحت جافة، ذبلت لعدم وجود ماء.

الورود الملونة أيضًا من الأشياء التي تذبل وتموت. رجعت "روزا" تداوم على ذهابها إلى الكنيسة. مر أمامها على الرصيف المقابل لها شحاذ أعمى.

فكرت قائلة: "مصاب حرب، أليس من الواجب إعطاؤه مال؟ من منا ليس مصاب حرب". الورود أيضًا ماتت لأنها دون ماء. لم يدعها الشحاذ وشأنها. هل يمكن لهذا المكان الذي انعدمت فيه الرحمة أن يشعر بمعاق؟ لا يمكن أن تنسى زوجها المتعب الذي قد يعود من الحرب - أو كما أحبت أن تقول "من رحلة عمله" - في أي لحظة. سارت وهي تنظر لحذائها المبلل.. إنها تمطر. دخلت مقهى يُدعى "أسترودال". تناولت الفطائر في المقهى في أثناء مشاهدة المطر. الحياة حَقًّا جميلة لمن يستطيع الخروج. هل من المعقول لامرأة أن تدخل مقهى بمفردها، وتدخل مبتلة بسبب المطر، ماذا في ذلك؟ تدخل مكانًا كهذا بمفردها؟ على أي حال لم تعجبها الفطائر. دارت بعينيها في المكان. على البيانو تجلس امرأة ضخمة، عجوز، ذات وجه متورد تعزف المقطوعة الفرنسية الشهيرة "الأوراق الميتة".

***

استيقظت "روزا" على حركة رجل بجانبها في السرير. وفزعت بشدة. رجل غريب في سريرها.

ظلت تتمتم قائلة:

- تُرى مَن أنت؟

ذبلت الورود الملونة التي كانت في المزهرية. استيقظ الرجل، ثم رجع وغط في النوم مرة أخرى. غضبت منه فرمت بملابسه من الشباك، ثم ألقت بالورود الميتة وراءها. داس حذاء عسكري على الورود الملقاة في الحديقة. انحنى زوجها، التقط الرسومات من الأرض، ورأى مجموعة الملابس التي كانت بجنبها. صعد

اَلسُّلَّم. ماذا يجب على الأزواج أن يفعلوا في تلك المواقف هل يجب أن يصرخوا؟ خيبة أمل كبيرة فهو كان يتوقع أن تقابله زوجته بدموع الفرح والاشتياق. فتح يديه الطويلة باب المنزل. رأت "روزا" زوجها العائد. لم تصرخ، هي كزوجها لم تنتظر أن تفعل شيئًا له. أما عن الرجل.. السافل، عندما رأى زوجها انتفض وهرع وهو عارٍ تمامًا.

ظل يهذي قائلًا:

- عاد زوجك، أين ملابسي، بنطالي.. أين اختفى؟

ردت "روزا" عليه ببرود:

- بنطالك في الأسفل، في الحديقة.

رمى الرجل نفسه من الشباك من شدة خوفه المعتاد في مثل تلك المواقف. نزل إلى الحديقة بجسده المخدوش من فروع الأشجار. ظل يبحث عن ملابسه وسط مزبلة الحديقة. ضحكت "روزا" وزوجها، لولا هذا الرجل لما ضحكوا تلك الليلة. يا إلهي ستعيش معه مرة ثانية. ستُجبر على ذلك إن جاز التعبير. ستُسحق تحت حذائه ثانية. لم تُذل في حياتها من قبل. يا إلهي عليها أن تقبل بماضيها المشين. لم تعتد على السوء، كل ما سيأتي أسوأ. كيف ستعتاد على العيش؟ كيف يمكن أن تعيش مرة ثانية؟ اعتادت "روزا" على قبول الأوضاع كافة، الفقر، المذلة. قضيا بعضًا من الوقت كرجل وامرأة، على ألحان تلك الأغنية:

"استلقى الطفل على الورود

قالت الوردة اذهب إلى اللقاء

رأى الطفل وردة

رأى وردة زهرية جميلة

الورود الزهرية اللون ظلت داخل كتاب الصلاة المزين بالصلبان الذهبية".

***

يدفع السكوت المرء لممارسة الجنس بفتور. كانت يد زوجها تحاوط خصرها بشدة. عضت "روزا" كتفه بشهوة زائفة. يتأوه هو، تتأوه هي. عندما أفرغ شهوته. مزَّق زوجها رسومات الورود الملونة.

قالت له:

- ارحل قبل أن يحل الصباح ولا تأتي. لن أصبر بعد ذلك. غدًا سأذهب إلى المقهى وأتناول الفطائر، وسأرجع مع ذلك الرجل، وسأنام معه.

توسل لها الرجل بصوت منخفض:

- أريد أن أنام، فأنا متعب للغاية.

- خذ المال كله، وخاتم الخطوبة هذا، والشمعدان. خذ كل شيء، واتركني.

ذهب الرجل دون أن تصدر منه كلمة. انتهت العلاقة قبل أن تبدأ.

تتقدم في العمر وما زلت تقترف الأخطاء نفسها مرارًا وتكرارًا. كَبرت قبل أوانها، ولكن هي السبب في ذلك. لم يتغير شيء فقط.. مجرد كلام. دائمًا ما يقولون: "ابدئي من جديد بالقدر الذي تريدين، اقلبي حياتك رأسًا على عقب، ولكن هذا لن يمنع أن تقع مجددًا في الخطأ. ليس مسموحًا للمرأة أن تقترف ولو حتى خَطأً واحدًا. إذا سقطت مرة، بدلًا من أن تحاول من جديد تكرر الخطأ نفسه".

المحطة خاوية صباحًا. شعرت بالبرد، الهواء بارد. معها جواب وبحوزتها صندوق. قبل شهر قرأت هذه الجملة في إعلان من إنجلترا:

"المرأة التي ستشاركني هي وحيبيها أيامي الباقية في المزرعة".

كلمة حبيب تعني الكثير بالنسبة للمرأة.

أدركت "روزا" معاني الأشياء من حولها بسبب ما مرت به من تجارب قد ينجح بعضها ويفشل بعضها الآخر، تعلمت أيضًا من الكثير من العلاقات العاطفية التي عاشتها، والحروب التي عاصرتها.

كانت تظن أنه سيكون وراء هذا الإعلان مشروع زواج، ولكنها كانت حمقاء. امتلأت المحطة قليلًا، الهواء ما زال باردًا. وصل القطار الذي سينقلها إلى المزرعة فركبت.

وفكرت في أن "أفضل طريقة لتلميع الزجاج هو البصق عليه. وعلى هذا الأساس أفضل طريقة للزواج هي تلك الإعلانات".

لم تجد مكانًا لتضع صندوقها، فجلست فوقه. بداخله ما تحتاجه العروس من تجهيزات والتي اشترتها من السوق الجديد. عبرت نفق "المانش" بالقطار. وصلت إلى المحطة القريبة من المزرعة ولم تنزل. هبطت في المحطة التالية لها، أُعجبت بالمزارع الإنجليزية بشدة.

تواصلت مع صاحب الإعلان وكَتبت "أنا أتكلم الإنجليزية"، والمغفل صدقها ولكن الغريب أنه لم يأتِ لاصطحابها إلى المزرعة. فكرت أنه بالتأكيد ينتظرها في محطة أخرى، مرتديًا معطف والده الكُحْلِي، وعلى ياقته يضع زهرة قرنفل حمراء. ومن داخل المحطة مر قطار رأت "روزا" فيه رجل ظنت أنه صاحب

الإعلان وابتسمت له كالبلهاء.

***

تعبت من الانتظار طويلًا وهي جالسة على الصندوق. اقترب منها موظف من المحطة وقال بالإنجليزية: "هل تنتظرين أحد؟"

ظلت "روزا" تُتمتم بعبارات تركية غير مفهومة. في النهاية عثرت على عنوان المزرعة كان في الأساس مرفق في الخطاب الذي أرسله صاحب الإعلان لها. أخيرًا وصلت إلى المزرعة عن طريق حركات الإشارة.

فتحت لها الباب سيدة عجوز. لم تعلم في البداية أنها الأم وهي صاحبة الإعلان. رأت حينها رجلًا يسحب معطفه ويرتدى حذاءه ويخرج للحقل. عندما رأت "روزا" المرأة العجوز المتهالكة ظنت للوهلة الأولى أنها الخادمة. ولذلك لم توليها اهتمامًا.

فكرت قائلًا: "الخدم الإنجليز.. لو أعطيتهم أي اهتمام تمردوا". ظلت تلوّح بيديها للمرأة أنها تريد مَاءً ساخنًا. ولكنها لم تفهم إلا بعد فترة.

في النهاية فهمت العجوز وأحضرت الماء لغرفتها. تحممت وطلبت من المرأة دعك ظهرها.

بدأت المرأة تدريجيًّا التكلم بصوت عالٍ، ولكن "روزا" لم تهتم.

وقالت: "اليوم أو غدًا ستعتادين على سيدتِك الجديدة".

فتحت صندوقها، وأخرجت منه ملاءة وفرشتها على السرير. ظلت المرأة تنظر لملاءة السرير الحريرية باستغراب شديد. في الواقع هذه هي المرة الأولى لـ"روزا" أن تستخدم فيها تلك الملاءة. بالتأكيد لن تذكر ذلك أمام تلك الخادمة. بطبيعة

شخصيتها المتهورة، ارتدت أحد قمصان نومها الشفافة. نجلت بأن تقف أمام المرأة بتلك الملابس التي تظهر جسدها من كل جانب، ولكنها قرأت في إحدى حكايات "سيزله باش باشا" أن الخدم الإنجليز "لا يرى لا يسمع لا يتكلم".

ولكن العجوز غضبت للغاية وبدأت في الصراخ. أشارت لها "روزا" بيديها أن تذهب للمطبخ. غادرت المرأة الغرفة وهي تبكي.

وقالت متباهية:

- لدي القدرة على تشغيل الخدم.

تذهب وتفتح باب المطبخ وتأخذ كل ما تريده شاي، قهوة حتى حلول المساء. بالطبع تلك الطلبات لم تقم بها العجوز الباكية.. ظلت جالسة على كرسي في المطبخ.

نظرت لها وقالت:

- غدًا ستعتادين على لغتي الإنجليزية.

حل المساء وجاء الرجل ذو المعطف اَلْكُحْلِيّ. عندما رأته المرأة جرت عليه وظلت تبكي. والرجل أيضًا بكى. أما "روزا" وهي مستلقية بأريحية على الأريكة بملابسها الشفافة تتجهز لأول ليلة لها. في البداية لم ينظر لها الرجل، ولكن بين عويل العجوز وصراخها رآها بثوبها الشفاف، أمسك بذراعيها وطردها خارج المنزل ونعتها بـ"العاهرة"، ثم رمى لها صندوقها وملاءتها. وقفت وقالت له:

- سامحك الرب أيها الإنجليزي.

ثم استقلت أول قطار وعادت لبيتها وزهورها الملونة.

"العمة روزا"

جاهزة لكل التحديات

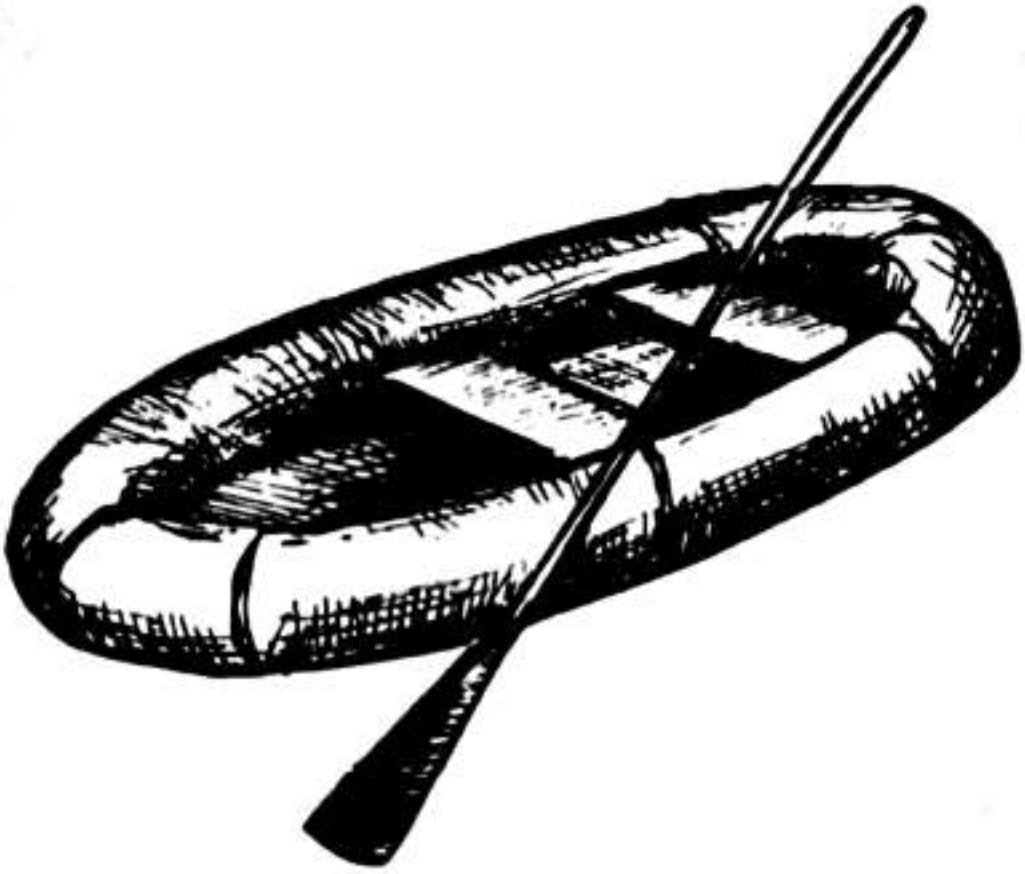

"إنتاج الجيش الأمريكي!"

- قارب نهري قابل للنفخ، متين الصنع، مصنوع من المطاط، من منكم يريد أن يجربه؟

- نعم، أيتها السيدات والسادة أبيع قارب قابل للنفخ من إنتاج الجيش الأمريكي. أبيع، هل أحد سيزيد.. بعت.

- ما اسمكِ سيدتي؟

- "روزا".

- سيدتي أنتِ جميلة للغاية، أصبحتِ تمتلكين القارب النهري القابل للنفخ والمتين.

صعدت "روزا" على السُّلَّم وهي تجر طرف القارب المطاطي. فتحت الباب، وبسبب كومة من الأشياء وراء الباب، لم يُفتح بشكل كامل. عَادَة أصبح الباب لا يُفتح هكذا خصوصًا بعد هوس "روزا" الشديد بالمزادات. تجري عائدة إلى المنزل، تحمل في يديها صندوق البضائع الرخيصة التي اشترتها، تترك الصندوق أمام الباب وترجع مَرَّة أخرى جريًا لتتابع المزاد؛ حتى لا تفوتها بضائع أخرى. وعندما رجعت بصندوق البضائع الثاني لم يُفتح الباب تمامًا لأنها تركت الصندوق الأول وراء الباب مُبَاشَرَة. دفعت بالسرير الأمريكي الصنع لكي تفتح الباب، وفي النهاية تمكنت من دخول المنزل. بعد أن وضعت الأحذية على جنبٍ، وقفت تنظر بتباهٍ إلى البضائع التي جمعتها؛ أربع ساعات حائط، بندقيتي صيد، وخمسة مواقد غاز، وستة كشافات يد، وخوذة، وحذاء صيد طويل، ثلاث مضخات ألوان، أربعة أطواق للكلاب، وثمانية أسرة قابلة للنفخ من صناعة الجيش الأمريكي. حاولت أن تتذكر ماذا كانت تقول جدتها عن اليهود. كانت ترجع من السوق كل يوم وتقول:

- كل شيء أصبح غاليًا.

- لماذا جدتي؟

- لأن اليهود الحقراء يشترون كل شيء بِسِعْر بَخْس، ويبيعونه بالغلاء.

- ولهذا السبب أولئك اليهود الحقراء أغنياء جدتي؟

- نعم، يشترون بالبخس.

وهذا هو السبب وراء سعي "روزا" وراء المزادات. ومن هذه اللحظة تبحث باهتمام لشراء الأشياء بسعر رخيص، ثم بيعها بسعر غالٍ باعتقاد منها أنها ستصبح ثرية. تقول إن السيدة "مريم" أرشدتها ذات يوم إلى ساحة مقر البلدية القديم حيث يُقام فيه المزاد، ولذلك حصلت "روزا" على تلك الثروة دون ثَمَن يُذكر.

أدركت هطول المطر من عيون قطتها السيامي التي تلمع كالكشاف في الظلام. وبدلًا من إضاءة المصباح الكهربي، أشعلت لمبة جاز. تحدثت مع نفسها قائلة:

- يجب أن أجرب واحدًا من هذه الأسِرّة القابلة للنفخ التي اشتريتها.

وعلى هذا الحال ظلت كل ليلة تجرب البضائع التي تشتريها.

ولكن بيع هذه الأشياء سيكون صعبًا؛ حيث تصنف الأشياء من ناحية الجيد فالأحسن.

ثم عادت وتابعت:

- لم يعد لديَّ مال. نفد اليوم مال البيانو الذي بعثه الأسبوع الماضي. في الواقع اشتريت أشياءً جيدة. ماذا قال الرجل، أثاث متين يتوارثه الأجيال. حَقًّا، قارب نهري قابل للنفخ، ممتاز وفي الوقت نفسه من إنتاج الجيش الأمريكي.

***

استيقظت على مواء قطتها المستمر.

ظلت تتذكر البائع عندما قال: "إن القطط السيامي لا تعيش بمفردها، يجب أن تتزاوج. تَهيج كثيرًا عندما تزداد رغبتها في التزاوج وبالتأكيد لن تتزاوج مع أي قط، لا بد من أن يكون من فصيلتها". ترمقها القطة بغيظ كأنها عدوتها.

نظرت لها وقالت:

- هل نستطيع اختيار الأزواج، يَا لكِ من قطة حمقاء! تعلمي الاكتفاء بنفسكِ مثلي.

اقتربت منها القطة والتصقت بها.

ثم تابعت وقالت:

- كل ما يهمها الشهوة، حيوان هائج، يا إلهي نحن أيضا لدينا رغبة! ماذا يمكنني أن أبيع؟

في الواقع، يمكنها بيع معطف زوجها الأنيق. حان الوقت لكي تكوني غنية كاليهود، لذلك يجب أن تنجزِي بعضًا من الأعمال الناجحة.

***

ملأت فنجان قهوتها، ووضعت بداخله مكعب سكر، وشرعت كالمعتاد في قراءة صفحات الإعلانات في مجلة "سيزله باش باشا". "هل تبحث عن نزُل؟ نزُل "بلفدار" يفتح بابه للزائرين، كل ما تريدونه من حساء ساخن في المساء وهواء دافئ يمكنكم العثور عليه عندنا".

استلقت القطة بِكَسَل على الجانب المواجه للشمس من السرير القابل للنفخ.

نظرت لقطتها وقالت:

- مريح أليس كذلك؟ دائمًا ما تجدين لنفسك مكانًا مريحًا. بالتأكيد مريح، هل نمت يومًا على سرير قابل للنفخ وأمريكي الصنع؟ يا ترى كم شخص يمكنه أن ينام على تلك الأسِرة؟ تسعة أشخاص. أي بحسابات أيام الحرب يسع ثمانية عشر شخصًا.

***

«نُزُل روزا يرحب بالزائرين».

كان هذا أول إعلان في صفحة إعلانات مجلة «سيزله باش باشا».

بعد عدة أيام، قابلت «روزا» رجلًا مهذبًا هرع لمساعدتها عندما لم تستطع أن ترفع على السُّلَّم عربة الأطفال التي اشترتها من المزاد يوم الجمعة.

- هل تحتاجين لمساعدة؟

- نعم، شكرًا جزيلًا.

- هل تسكنين في تلك العمارة؟

- نعم.

العربة كانت ثقيلة فجلسا ليرتاحا قليلًا.

- هل نزل «روزا» في تلك العمارة؟

- نعم، إنه هنا، في الواقع أنا «روزا»، أي أنا صاحبة النُّزُل، أقصد أن منزلي في الأعلى وأنا قررت أن أجعله نُزُل. هل سمعت سيدي عن السرائر القابلة للنفخ المصنوعة في أمريكا؟

- كنت في معسكر الأسرى للجيش الأمريكي، ولكن كنت أنام على أسرة

من الخشب.

- حَقًّا، إذَا ستعجبكَ أسرتنا كثيرًا فهي تعالج آلام الظهر.

- سرير قابل للنفخ؟

- نعم سيدي، لماذا أنت مندهش؟

فتحت «روزا» باب المنزل وقالت:

- تفضَّل سيدي، احني رأسك قليلًا وإلا ستصطدم بقفص عصافير الكناريا.

- أحب عصافير الكناريا. ولكن أين العصافير؟

- لا أملك في الحقيقة أي عصافير كناريا هنا. يبيعون في المزادات الأقفاص فقط من دون الطائر. تُباع بسعر رخيص جِدًّا، لن تصدق إذا أخبرتك.

- أنا متعب للغاية وأريد أن أنام.

- كما تريد. أي من تلك الأسِرّة تريد أن تنفخها؟ تُنفخ بسهولة ولن تهبط بالجلوس عليها. جربتها جميعًا قبل أن أضع الإعلان.

أين المنفاخ؟ على أي حال يمكنك يا سيدي أن تنفخها بفمك، إنه سهل النفخ. وإذا تعبت أنفخ أنا بدلًا منك. مرة أنت، ومرة أنا، وهكذا نقضي الوقت معًا.

- أين ملاءة السرير؟

- موجودة. ولكن المكواة معطلة، غسلتها ولكن لم أكوِها.

- يا إلهي أنا لم أكوِ ملاءتي من قبل.

- حَقًّا، ليس هناك أي داعٍ لبذل مجهود غير ضروري. أعني أن جدتي وأمي قد أضاعتا وقتهما في كَيِّ المفروشات، ولكن أنا حققت رأس مال هائل من خلال جمع البضائع من المزادات. السيدات المسنات ليس لديهن صبر على البيع والشراء يا عزيزي ولكن انظر إليَّ مثلًا أصبحت أمتلك هذا النُزُل بفضل شرائي لتلك الأسِرَّة القابلة للنفخ. على الرغم من أنك أول زبائننا؛ ولكن لنحتفل بهذه المناسبة. أمس، اشتريتُ نصف زجاجة عرق برقوق بسعر رخيص جدًّا من المزاد، وكنت سأشربها على شرف أول زبون لي. ألا تريد أن تشرب معي؟ كما تريد عزيزي سأشرب بمفردي. أما بالنسبة للملاءة فإذا فردتها قليلًا ستبدو بشكل أفضل.

- أريد وسادة.

- يمكنك أن تضع وسادة هذا الكرسي تحت رأسك. مريحة للغاية، عن تجربة.. أخرج، لماذا؟ يا إلهي، تريد أن تغير ملابسك. سأستدير وأعطيك ظهري، للأسف الغرفة الثانية مليئة عن آخرها بالأشياء. لا توجد غرفة أخرى؟ فلننقل سريرك إلى المطبخ إذا أردت. وهنا تظهر مميزات السرير القابل للنفخ، حيث يمكن وضعه في أي مكان تريده. الأمريكان ليسوا أشخاصًا جيدين تمامًا، ولكن يعرفون تمامًا كيف يعثرون على الراحة، أليس كذلك؟

***

أغلق الرجل على نفسه في المطبخ. في البداية سأل عن الساعة قبل أن ينام ثم قال إنه لن يستطيع أن يعثر على نزل آخر في هذه الساعة.

- ترى، ماذا كان يقصد؟ أليس مرتاحًا؟ لهذه الدرجة كُنت عفوية معه. أنا أتصرف على طبيعتي. يجب أن أعتاد على ذلك، فالزبائن على جميع الأشكال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والألوان.

عَمِل النُّزُل لخمسة عشر يومًا بشكل جيد. النزيل كان يبقى حتى ولو نَدِم. هل سيتمكن من العثور على مكان آخر في هذا الوقت في تلك المدينة الكبيرة؟ وهنا يأتي دور «روزا» الجميلة. كانت تجيد لعب الكوتشينة وتتجاذب أطراف الحديث بلطافة، كان النُّزُل يرحب بالزائرين وخصوصًا العمال الأجانب.

***

إنه صباح الأحد، استيقظت «روزا» لتقابل زبائنها بسعادة.

قابلها «كارلو» وقال لها:

- أمس ضحكنا وشربنا كثيرًا.

«فرناندو» النائم في المطبخ استيقظ أيضًا ودفع «كارلو».

جلست «روزا» تفكر وقالت:

- نفدت كل المشروبات، بصحة وهنا على من شربها. المنزل حالته سيئة، الأسرة، والملاءات قذرة، ولكن هنا الطعام والشراب أرخص من الماء فهو بالمجان تقريبًا.

ثم شردت قليلًا فيما يمكنها أن تفعل اليوم لزبائنها؟ سقطت كومة من الأشياء على الأرض منها تُرْمُس والقارب النهري القابل للنفخ، وحقيبة رحلات.

خطرت لها فكرة فقالت:

- كيف لم أفكر في ذلك من قبل، لآخذهم في نزهة.

وبدأت في نسج خيالاتها قائلة:

- إذا نجحت اليوم هذه النزهة، سأستطيع جذب الكثير من الزبائن في موسم السياحة. وسأضع إعلانًا لي في مجلة «سيزله باش باشا» بعنوان «جولات يوم الأحد».

على الرغم من أن فكرة النزهة لم تنل رضا «فرناندو» و«كارلو» كثيرًا، قررا في النهاية الخروج معها. كما أخذ الأخير بندقية الصيد لكي يجربها. رَكبت «روزا» في مقدمة دراجة «فرناندو» النارية، وفي الخلف رَكب «كارلو»، أما عن القارب النهري القابل للنفخ، والتُرمس وما شابه ذلك فوضعوها في حقيبة ظهر وَرَبَطُوها بجانب الدراجة. وضع «كارلو» البندقية على كتفه، متباهيًا بها كالأطفال. ركبوا القارب وانطلقوا به في النهر. طار عصفور في منتصف نهر «نيكار». اختطف «فرناندو» البندقية من يد «كارلو» وقال له: «اتركها أريد أن أصطاد أيضًا»، ثم ضغط على الزناد. غرق القارب بهم عندما كانت «روزا» تلف النقانق في المناديل الورقية. نعم، ثُقب القارب القابل للنفخ ذو الصناعة الأمريكية. كل الأشياء التي بداخله ذهبت مع تيار الماء الجارف. غرق كل شيء؛ البندقية، والتُرمس، والقارب.. «روزا» أيضًا كانت ستغرق. أما عن «كارلو» و«فرناندو» فقد صعدا إلى قارب آخر ورحلا تاركين «روزا» وراءهم. كل من في تلك المنطقة سمع صراخها؛ وجاؤوا وأنقذوها من تلك التيارات الجارفة.

ظلت تتمتم ببعض الكلمات:

- أنا لم أجربه من قبل، لم أجرب ذلك القارب من قبل.

وهي تحتسي كوب القهوة الساخنة لتدفئ جسدها المرتعش. وصلت منزلها بشق الأنفس وفتحت الباب. لم تجدهما، فقد تركا المنزل ورحلا. مواء قطتها

المزعج ما زال مُسْتَمِرًّا. لاحظت «روزا» أن قطتها بعنفوانها الأنثوي قد قطّعت بمخالبها كل الأسرة القابلة للنفخ. هذه المرة لم تشعل لمبة الجاز ولكن أضاءت الكهرباء. وظلت تفكر هل حَقًّا جدتها أخطأت بحق اليهود.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

إصرار «العمة روزا» على الحياة

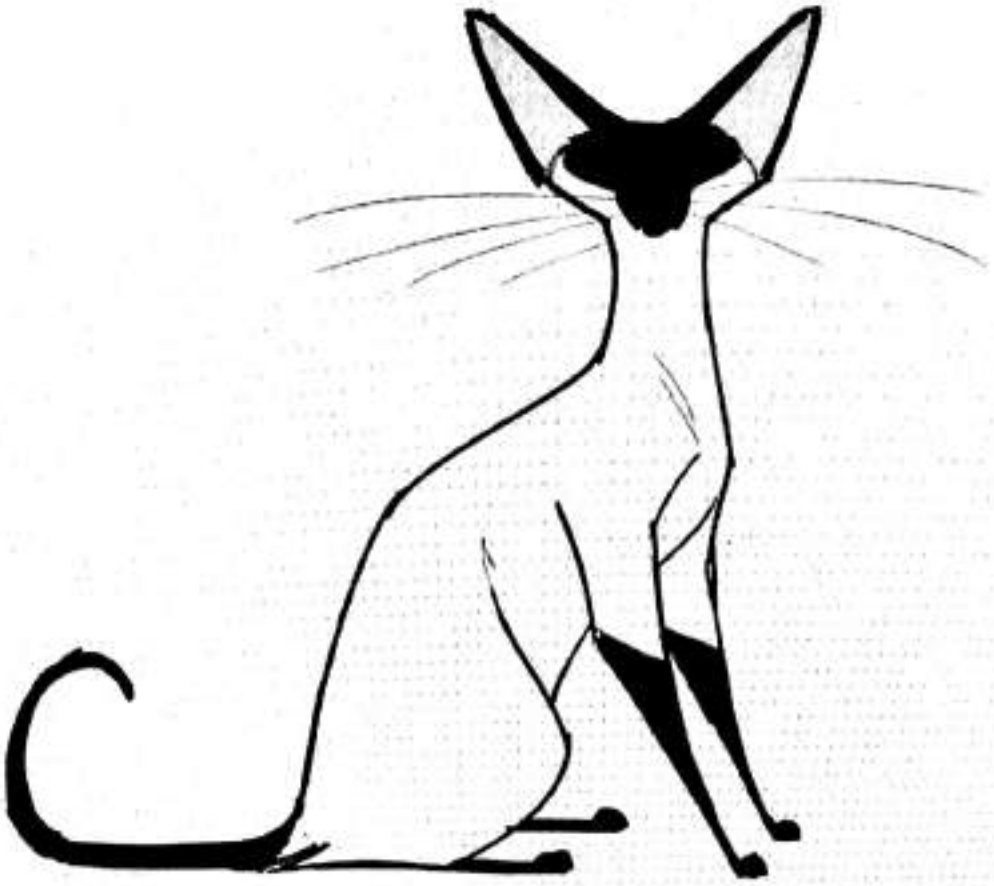

ضوء الشمس الذي ينعكس داخل الطبق يعطي لبواقي الجبن لمعانًا. تصعد القطة على المنضدة، تتمايل دون أن تدوس على فتات الخبز وبواقي الجبن، أخفت ضوء الشمس بجلوسها على المنضدة في الجهة المواجهة للشمس. تبدو القطة جميلة اليوم. الجمال الدائم الذي لا يعرف الجوع، الشبع، الحب، الكره. فتحت «روزا» باب الثلاجة. وجدت علبة زبادي فاسدة، بدأت تتمتم قائلة:

- هذا ما يطلقون عليه الحضارة الغربية، ونحن هنا جياع.

أخذت معلقة من الزبادي، وبلعتها وهي تسد أنفها. تحاول أن تقنع نفسها بقولها:

- إن الجبن المتعفن والزبادي الفاسدة مفيدة، أما اللحوم والأسماك مضرة للغاية. من حسن الحظ أنني ليس لدي لحوم، ولا أسماك، ومع ذلك لستُ سعيدة.

في الصباح، سقطت قطرات المطر على تراب زجاج النافذة. أصبح الزجاج ملطخًا كجلد الحمار الوحشي. وقفت «روزا» تتأمل الحديقة المقابلة لها في الشارع. وعندما نقول حديقة يخطر ببالنا العشاق، أليس كذلك؟ ولكن التفكير في العشاق أصبح صعبًا. صعب أن نرى شريحة اللحم المطبوخة جيدًا ونسمع الهمسات اللطيفة في الأذن.

***

الجميع يمر من الشارع، الواعي، والمخمور، والجائع، والشبعان، والجميل، والقبيح. إذا سكرت فلا يجب أن تترنح في الشوارع، إذا عشقت فلا تنام في الشوارع، إذا شبعت فلا يجب أن تتغوَّط في الشارع، فالشارع مخصص للذهاب والإياب فقط. هذه التفاهات هي ما تشغل بالها. وهذا ما نسميه الجوع، أو البطالة، وربما الحرمان من المال. ولكنها لا تخاف من هذا ولا ذاك، «دائمًا ما تجد طريقة للعيش». منذ عدة أيام، قررت أن تذهب وتلقي نظرة على إعلان عمل معلق بـ«غرفة ملابس». ومع ذلك لم تذهب، لأنها استسلمت لمصيرها ورضيت بالخبز، والجبن، والزبادي. ولكن هذا لم يمنعها في أن تفكر كعادتها لتجد مخرجًا وأن تكون صاحبة القرار في خوض التجارب. عندما يشعر الإنسان بكراهية تجاه الغير، ينسى أنه في الأساس إنسان له حق في العمل، والكسب، والأكل والشرب... وغيره.

لذلك فتحت الشباك، ورمت بقايا الخبز، والجبن على المارين في الشارع.

***

- أنتِ؟

- نعم.

- جئتِ بخصوص الإعلان؟

- نعم.

مطعم متواضع في حديقة. هناك اصطحبت سيدة «روزا» لغرفة الملابس حيث تقع بجوار باب دورة مياه السيدات، وهي عبارة عن عدد من الشَّماعات مثبتة وبجانبها كرسي. بدأت السيدة في شرح طبيعة العمل قائلة:

- هذه هي غرفة الملابس. في الشتاء، عادة ما لا يخلع الزبائن معاطفهم بسبب برودة الجو، وفي الصيف لا يرتدون المعاطف؛ أي كما ترين العمل قليل.

- وبالنسبة لدورة المياه؟

- هذا حمام السيدات.

- وماذا يفعل هذا الكرسي بجانب باب الحمام؟

- لأن غرفة الملابس بجوار دورة المياه.

- هل سيدخل أحد هنا؟

- بالتأكيد وسيكونون من اختصاصكِ، وستكونين مسؤولة عن النظافة أيضًا. ومن يدخل أو يخرج سيضع لكِ بقشيش في الطبق الذي على الطاولة هنا. الأجر زهيد أعلم، ولكن كما تعلمين السيدات تحب أن تذهب إلى دورات المياه كثيرًا.

- حقًّا، هذا رائع!

- هل يمكنكِ أن تبدأي الآن؟

- نعم، ولكن هناك خطأ بسيط. مكتوب في الإعلان مطلوب العمل في «غرفة ملابس»، ولكن الوضع هنا مختلف.

- ذلك أفضل لكِ يا سيدتي، فأنتِ تبحثين عن عمل واحد ووجدتي عملين. فلتفرحي.

- حقًّا، فَرحت كثيرًا.

فرحت لوهلة.. بالفعل الحياة مليئة بالمفاجآت كحكايات مجلة «سيزله باش باشا». تقدمت «روزا» في العمر. وعندما يتقدم الإنسان في العمر يفرح بأي شيء لأن هناك شخص ما تشاركه هذا.

ثم ظلت تفكر قائلة:

- وما الذي يميز هذا العمل عن غيره؟ ما الفارق بين أن تأخذي النقود مقابل تعليق معطف رجل.. وبين أخذ المال مقابل أي شيء آخر؟

العمل متعب ومنهك، ولكن الأيام تمضي بين النوم واليقظة. عندما يتجاهل المرء كل ما حوله.. هل سيهتم بوضعه الشخصي؟ كسبات شتوي لا يمكن لنشاط الصيف أن يقطعه. لم تعد تطفئ النور وتنام، ولا تقرأ، ولا حتى تمارس الحب. ولكنها تظل مستلقية على الفراش فقط. أحيانًا تخرج قدمها من اللحاف وتحدق في الفراغ لساعات وتقول: «غدًا سأغسل قدمي».

عادةً لا تغسل قدميها كل يوم لأنها ترى أن قدميها ليست متسخة.

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمكن للإنسان نسيان الماضي أو مسحه وكأنه لم يعش حلوه ولا مُره. كل هذا ليس مملًا؛ أي ملل أو سأم قد يحسه شخص يقضي يومه جالسًا بجانب باب دورة المياه. التعب والملل رفاهية ليست لأمثالها. ما زالت لا تستطيع منع نفسها عن التفكير. أحيانًا كانت تشعر بملل من النوم أغلب فترة جلوسها. تعلم أنها لا تفكر كونها تقضي يومها بجانب دورة المياه، ولكن بالنسبة لها التفكير هو عادة، ولهذه العادة نتيجة. قبل هذا، لم تلحظ أنها لا تفكر في شيء لأنها تغفو أغلب الوقت على الكرسي. ومع ذلك ما زال عقلها منشغلًا ببعض من أفكارها الغريبة.

***

لم تستطع «روزا» في الصباح التالي شرب كوب القهوة كعادتها في منزلها، ولذلك نادت على النادل وهي جالسة على كرسيها وطلبت منه أن يحضر لها القهوة، ثم قالت:

- لأجرب شرب القهوة هنا بعد ذلك. ربما عندما أشرب لن أغفو، وسأستطيع أن أفكر جيدًا. فيما سأفكر؟ هل هناك فرق بين أن أكون سيدة تدخل دورة المياه وسيدة تنتظر عند الحمام؟

شربت القهوة وظلت تفكر في أن كوب القهوة التي تحضرها في المنزل أفضل من تلك القهوة، ولكن قطع ذلك رؤيتها لرجل يفتح باب دورة مياه السيدات. سكبت القهوة على تنورتها، وغضبت بشدة من هذا الموقف الذي حدث فجأة، لأنها عادةً تنام طوال فترة جلوسها على الكرسي.

- هنا حمام السيدات.

- لا يا سيدتي، من قال ذلك؟

- من هنا.

ظنت «روزا» أن هناك لوحة مكتوب عليها للسيدات. ضحك الرجل، لأنه لم يكن هناك أي لوحة. ولكنها أصرت بشدة على موقفها. فتحت الباب ودخلت إلى دورة المياه. والرجل وراءها.

- كل شيء ينم عن أن هذه دورة مياه السيدات.

- كيف عرفتِ ذلك؟

- من السيدات اللواتي تعملن هنا.

- أي سيدات؟

- لسنا موجودات الآن.

- هل دورة المياه هذه كلها من أجل السيدات فقط؟

- نعم.

- كيف تعرفين ذلك؟

- هذا واضح.

- اثبتي لي.

- ولكن كيف سأثبت؟

في الواقع غضبت «روزا» من هذا الموقف الفُجائي وليس من الرجل. أغلقت على الرجل باب دورة المياه، وخرجت. انتهى الأمر. الآن ستعود مرة أخرى وتبحث عن عمل، وتعمل من جديد، وتحب وتمارس الحب مرة ثانية. هذه

المرة تستلقي في منزلها وتفكر هل كان كل هذا يستحق أم لا، ولكن تقيم كل هذا صعب، في الحقيقة أن تكوني صاحبة القرار في خوض التجارب ليس أمرًا سهلًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحِبُّك يا «روزا»

جلست «روزا» تغني بصوت أَجَشّ قائلة:

- «روزا»، أُحبك يا «روزا».

وتعزف على الجيتار التي اشترته من بائع الخردة بثمن رخيص. لم تكن «روزا» من أولئك الأشخاص الذين يفكرون في مشكلة أنها وحيدة، عاطلة، وبلا حب، والأسوأ من ذلك أنها في وضع مادي سيئ، ولكن كانت تؤمن بتغير الأحوال. تحاول أن تواسي نفسها بعزفها على الجيتار. «أُحبك، أُحبك يا روزا». وهي تغني

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

دقت جارتها التي تعمل أمين خزنة الحائط بعنف قائلة:

- عن أي حب تتكلمين أيتها العجوز.

- ماذا أفعل؟ هل أبكي؟ أم أضحك؟

«روزا» متفهمة لحقيقة فشلها في الحب. هذا ليس نصيبًا، ربما يكون نقص خبرة أو حماقة، وعندما تتذكر حماقتها بالأخص يجب أن نضحك. دائمًا عندما تقع في حب جديد، تبدأ معها حماقة جديدة ولكن للأسف تنتهي بمأساة. وحتى دون هذا، تذوق حلاوة الحب أو حتى التخلي عنه يحتاج أيضًا إلى مهارة وذكاء.

كانت تقول:

- أنا لستُ تلك المرأة التي تجلس في المنزل، أنا عاهرة. والآن ليس لدي مال، وفي الواقع أنا أفكر في الحب بدلًا من أن أجد عملًا. يجب أن يكون لدي مال، لأن كيان المرء لن يتحقق إلا بذلك. ماذا كانوا يكتبون في المجلة؟ إن الحياة بحر، يضيع فيها من لا يعرف السباحة. هل الضياع سهل؟ الضياع ليس الشيء الوحيد الذي يخشاه المرء. من حق أي شخص أن يسقط مرة على الأقل. وأما عني أنا، فسقطت أكثر من مرة، ومع ذلك أجد نفسي ما زلت على قيد الحياة. أنا جامحة، مضطربة، مثيرة للشفقة. وفي الوقت نفسه، متمردة وقوية وصامدة، ولكن مع ذلك ما زلتُ حمقاء. كُلٌّ منا لديه رصيده الخاص من الحماقة والطيش، ولكن بعد كل هذا.. لماذا أتألم؟

لم تجرب إحساس الألم من قبل، ولكن هذه هي «العمة روزا» تسقط، ثم تنهض من جديد، وتصر على عيش الحياة. تركت الجيتار، وأخرجت لسانها لحائط جارتها كنوع من الاستهزاء بها.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

وقالت:

- ماذا تظنين؟ أنا أحب نفسي وأتقبلها بكل ما فيها من عيوب ومتصالحة معها. مع ذلك سأبحث عن عمل.

أو بالأصح، معنى أن «العمة روزا» ستبحث عن عمل؛ أي أنها ستبحث عن حبيب أو زوج. فتحت مجلة «سيزله باش باشا»، تلك المجلة كانت بالنسبة لها كتاب مقدس مثل «الإنجيل» و«التوراة». بداخل تلك الكتب لا يوجد إلا الكذب.

على الرغم من أن «العمة روزا» مدركة لما يحدث حولها، لكنها لا تزال منخدعة ومنساقة وراء هُراءات تلك المجلة، ومصرة على الاستمرار في ذلك. وفي النهاية، هي فقط من تتحمل نتائج تلك الاختيارات الخاطئة. ومع ذلك فتحت صفحة الإعلانات والتي فيها «مطلوب بائعة للعمل في نادي/ منزل».

فكرت قائلة:

- «تتباهى أمامي بأنها تعمل أمينة خزنة، وأنني وحيدة، وعاطلة، وتسخر من أغانيَّ، أليس كذلك؟

ضربت الجيتار في الحائط. وبكت بانكسار وهي تسب جارتها التي تسخر منها.

***

يطرق الباب. فُتح الباب على صوت شخص يقول:

- هناك شخص آخر انخدع وحضر إلى المجلة بشأن الإعلان.

فتحت لها امرأة ضخمة للغاية، ذات شعر أشعث وشكل مخيف. رمقت

CamScanner

«روزا» بنظرة وكأنها لم تلق استحسانها، وكأنها ستغلق الباب في وجهها، هي من طراز السيدات اللواتي لن يعجبن بأي أحد.

- جئت بخصوص إعلان العمل.

- أمين الخزنة.. أعتقد أنه.. ليس كما تتوقعين، بالتأكيد واضح.

- ما الواضح؟ حسناً يمكنني أن أعمل في الصرافة.

- عزيزتي لن يُمكِنك، وبالتأكيد أنت ساذجة لأنك ببساطة لست من النوع الذي سيعجب الزبائن هنا.

- أي زبائن؟ أنا عملت في محل قبل ذلك، والزبائن كانت معجبة بلباقتي.

- عزيزتي، بالطبع يُمكِنك العمل أمينة خزنة، ولكن هناك أمر ينقصكِ.

- ما هو؟

- أن تكوني مثيرة.

قالتها بمنتهى الفظاظة.

بداية الأمر، قالت «روزا»:

- إن كان الأمر هكذا فإلى اللقاء.

ولكن بعد ذلك رجعت وطرقت الباب مرة أخرى وقالت:

- ما شأني أنا بالسيدات اللواتي يبعن أنفسهن عن طيب خاطر. أنا جئت لأعمل أمينة خزنة. لن يهمني أبدًا مضايقات جارتي الحقيرة. العمل ليس عيباً.

حينها تذكرت «روزا» الشعار الذي كان الثوّار يرفعونه في الشوارع «خبز

وحرية».

ثم تابعت وقالت:

- أنتِ ترفضين باب رزق بأريحية شديدة. ولا تعلمين أننا جياع. وقد نظل هكذا. أنا أستطيع أن أبيع نفسي، وربما بِعْتها، وفي النهاية المطاف.. هل هذا هو الخبز والحرية؟

***

كانت «روزا» تقضي أيامًا سعيدة بعد أن عملت في معرض التحف المزيفة واللمبات الحمراء. المشروبات أيضًا كانت رخيصة. من جانب تشرب وتلهو، ومن جانب آخر تعمل أمينة خزنة. كانت بالنسبة لها مشاهدة عملية التسوق متعة، تتابع طوابير الرجال المغلوبين على أمرهم وهم يشترون البيرة. يبعث ذلك بداخلها فرحة عارمة، وبمجرد أنهم يحاسبون على المشتريات يجلسون بجانبها، ويشتكون لها متاعب الحياة ومشاكلهم.

كانت دائمًا تقول:

- في الواقع أنا أحب الرجال.

كانت «روزا» ترى في هذا انتصارًا أنثويًا لها، وأنها بهذا تكيد السيدات الأخريات. مغرمة هي بكيد النساء كثيرًا.

مر شهر منذ أن بدأت العمل، نظرت في المرآة وشعرت أنها بحاجة لبعض التغيير، كتقصير الشعر، وعمل قصة على الجبين. ووضع بعض المكياج فوق العيون، ودهن الشفاه بحمرة الرمان، وشراء تنورة قصيرة ضيقة، وشراب أسود خفيف، وبلوزة لامعة.

ثم قالت:

- سألفت انتباههم بهذا المنظر الفاتن. أصبحتُ أشبه فتيات هذه الأيام، ولكن لماذا؟

هي تعلم جيدًا لماذا، ولكنها لا تصارح نفسها. تعيش على أمل أن يومًا ما سيعرض أحد الزبائن حبه عليها. هل ستفعل ما تفعله الفتيات في تلك المواقف، لم تقرر بعد، ولكن تلك هي البداية، تنتظر تلك اللحظة بِشَوْق شَدِيد. لاحظت الفتيات اللواتي يعملن معها تغيُّر مظهرها وأصبحت مجال سخريتهن قائلات:

- مسكينة، تحاول أن تتشبه بنا، نسيت عمرها.

ثم يبتسمن وهن ينظرن لزبائنها.

أحيانًا نفتقد لبعض الأشياء كثيرًا. وخصوصًا لو كان الحب هو الشيء المفقود. فجأة، يتغير مقياس الشخص ولا يعرف الصواب من الخطأ. مفهوم الناس حول الحب متغير؛ أي في مجتمع المتزوجات، المرأة في نظرهم هي الشريفة والمخلصة، ولكن ترى «روزا» أن أهم شيء هو الرغبة، ولا شيء يساوي الرغبة.

***

أوجع عينيها نور اللمبة الحمراء، عدّت النقود، وأسندت يديها على رأسها وقالت:

- لقد تعبت.

فجأة زال تعبها، عندما رأت تلك العيون الزرقاء، ثم قالت متلهفة:

- ها هو.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

أحد زبائن المتجر والذي يتردد عليه أسبوعيًا، ذو عينين زرقاوين زائغتين من كثرة الشُرب، تابعت:

- إنه ينظر إليَّ. منذ فترة وهو ينظر إليَّ. أنا لست مخطئة على الأغلب. لا بد وأن هذا الرجل يتابعني بشكل واضح. الأسبوع الماضي أيضًا تكرر الأمر نفسه.

تتأمل «العمة روزا» النظرات، وتزداد لهفتها أكثر وأكثر، ثم وضعت بعضًا من المكياج، وابتسمت. اقترب الرجل من منطقة الخزنة. ووقف، ونظر لها. كان سيتكلم، ولكن «روزا» لم تترك له فرصة. وتركت مكانها أمام الخزنة، وأمسكت بيد الرجل، وتركت المكان. الرجل كان يترنح، وبالكاد صعدا السُلَّم. وفتحت باب إحدى غرف المكان. ودخلوا، ولكن بعد قليل، فُتِحَ الباب ودُفعت «روزا» للخارج. وهي تخبئ ثدييها العاريين بخجل شَدِيد. وقالت:

- من أين لي أن أعرف أن هذا الأمر ممنوع في هذا المكان.

ضربت الفتيات وصاحبة المنزل «روزا» وطردوها. وقالوا لها:

- يا لها من وقحة!

- لا تعرف العيب.

- منحطة.

- رخيصة.

- عاهرة.

طردوها في الشارع بوجه وأعين متورمة وملابس ممزقة. أصبحت «روزا» الآن في الشارع. حتى دون مرتبها الشهري. فهمت أن في هذا المنزل لكل شخص

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

اختصاصه. وأن الدعارة حَقًّا ليست للجميع، لكل شخص وظيفة، ومن واجبه أن يدافع عن تلك الوظيفة؛ كجمعية أو مؤسسة، ولكل مؤسسة قوانينها الخاصة بها، وأنه من الضروري الالتزام بتلك القوانين. مرة أخرى رجعت لجيتارها. وفكرت في أهمية الدفاع عن حقوق العشاق، أخذت الجيتار وبدأت في الغناء مرة أخرى.

وظلت تغني قائلة:

- جاء الرجل بجانبي ليهمس لي بشيء. ما هو؟ ربما سيقول أحبك يا «روزا».

الدوقة الجليلة «روزا»

نظرت «روزا» من العين السحرية التي في الباب. رأت «ماثيز» بلحيته البيضاء، وهو يضرب الجرس أكثر من مرة. ترددت قليلًا في فتح الباب، وتمتمت مع نفسها:

- لقد مر وقت طويل منذ طلاقنا.

وبعد ساعة فتحت الباب لتذهب إلى السوق، رأت زوجها السابق، «ماثيز»،

يجلس على السلالم.

قالت «روزا»:

- صباح الخير يا «ماثيز»، لم يبق لك أي شيء في الداخل.

لم ينتهيا من فصل الممتلكات والأشياء التي اشتروها في أثناء الزواج بشكل كامل. يأتي «ماثيز» منذ سنتين أو ثلاث ليأخذ غرض أو اثنين من المنزل ثم يرحل.

Telegram:@mbooks90

قال «ماثيز»:

- بل يوجد.

- ماذا تريد هذه المرة؟

- أمهليني بعض الوقت لأفكر.

فتحت «روزا» باب المنزل وقالت له:

- اذهب للمطبخ، فكر هناك، ستجد بعض الصحون، اغسلها.

في كل مرة يرجع للمنزل يقوم لها بأعمال التنظيف. كان «ماثيز» هو السبب في إفلاس دكان «روزا»، ولذلك كل فترة يأتي ويخدمها وعندما يغادر يقول لها:

- انخفض ديني من هذا الحد إلى هذا الحد.

- أعد لي كوبًا من القهوة.

شرع «ماثيز» في تحضير القهوة. لا يزال يرتدي في معصمه الساعة التي اشترتها له منذ وقت طويل.

- اخبز لنا أيضًا فطيرة تفاح، وخذ الكلب للتمشي. لدي ضيفة اليوم.

- حسنًا «روزا».

- لستُ «روزا»، بل سمو الدوقة «روزا».

- يمكنني أن أسأل الدوقة «روزا» في انتظار من؟

- ابنتي العاهرة.

أحضر «ماثيز» كوب القهوة بيدين مرتعشتين.

- هل هناك قرفة؟

- نعم، ودقيق، وسكر، وبيض، وتفاح، ولوز، كل شيء موجود باستثناء الملح.

- الملح مهم من أجل اللحم المشوي، ولكن ليس موجودًا.

- مع الأسف سمو الدوقة.

ومع قرب الظهر، جاءت ابنة «روزا» بوجه أحمر للغاية. وقالت لها:

- من فضلك لو ستحتاجين إليَّ بعد ذلك اتصلي بي.

- بعت التليفون.

- إذا كتبتي جملة «عاهرة شتوتجارت الأولى» مرة أخرى، سأقاضيكِ يا أمي.

قال «ماثيز» بضحكة مكتومة:

- أحقًا أصبحتِ عاهرة؟

- وماذا يفعل هذا هنا؟

- إنه خادمي الجديد، يعد لي فطيرة التفاح.

- لن أنتظر للغداء.

- كيف تأتين لتناول الغداء معي بهذه الملابس؟

- أنتِ من يجب أن أسألها هذا السؤال، ما هذه المنامة الرخيصة التي ترتدينها.

قال «ماثيز»:

- أنا المسئول عن تلبيس الدوقة.

ردت ابنة «روزا»:

- لم يبقَ معي مالًا لأعطيكِ إياه.

قالت «روزا»:

- أنا لا آخذ معاشًا، هذه من ديونكم القديمة.

أحضر «ماثيز» اللحم المشوي، وأشعل الشمعدان الفضي، وأمسك بيد واحدة الطبق الرئيس ثم وضعه على الطاولة.

قال «ماثيز»:

- بالنسبة للرقبة، فقد التهمها الكلب بالداخل.

ردت «روزا»:

- حسنًا، اعتني بالكلب جيدًا.

بدأ «ماثيز» بتقطيع الإوز المشوي إلى قطع. علقت السكين داخل الإوزة.

قالت له «روزا»:

- كان يجب سحب هذه الفضلات التي بداخلها ووضعها في كيس بلاستك.

بمجرد أن تناولت ابنتها اللحم أخرجته من فمها بتقزز.

- ألا يوجد ملح هنا؟

- لا يوجد ملح في المنزل، واليوم الأحد، لذلك طبخناه دون ملح.

ردت عليها ابنتها:

- كان بإمكانك الاستعارة من الجيران.

- الجيران لا يفتحون لي الباب لأنني وضعت على بابهم لوحة مكتوب عليها «عاهرات شارع شتوتجارت».

ظل «ماثيز» واقفًا بجانب باب المطبخ وقال:

- «روزا» مضحكة جدًّا. لا أستطيع العيش من دونها.

***

- من فضلك يا أمي، اتركيني وشأني.

قال «ماثيز»:

- لقد صفعت الباب وهي تغادر.

قالت «روزا»:

- العاهرة.

- لا تتركي لها ميراثًا.

- ارفع المائدة وأغسل الأطباق.

- أمرِكِ سموك.

- لديَّ الكثير من العمل. لقد بعتُ الببغاء، أحتاج إلى المال بشدة. أعرف طرقًا سريعة لجني المال، ولكن الآن سأكتب رسالة مهمة.

- لمن؟

- إلى «ستالين». أريد منه قطتين سيامي. هنا يدفعون كثيرًا من أجل القطط.

- هل سيرسل لكِ القطط؟

- أعلم أنه لن يرسل لي شيئًا، لذلك كتبت على الظرف من الخارج إلى أقذر يهود بولندا.

- هل النبلاء هناك يعرفونكِ؟

- نعم، عرَّفني به «نابليون» أثناء رحلتي لروسيا.

قال «ماثيز»:

- سمعت أن قوته متمركزة في إفريقيا.

- نعم، هذا صحيح. قرأت منذ فترة في المجلة أنه أطاح بملك نيجيريا.

- وهل يمكن أن نعمل مع هؤلاء النبلاء؟

- نعم، كتبت خطابًا لـ«تشرشل» وقلت إنني سأرسل له كيلو ونصف من

الألماس.

- وهل يمكن لـ«تشرشل» استرجاع العرش مجدداً.

- على الأقل سيتظاهر أنه استرجعه.

- لكن «تشرشل» أعقل بكثير من «هتلر».

- لا تذكر ذلك الخنزير اليهودي.

- ولكنه شيوعي.

- إنه لا يعرف الدوقة «روزا».

- هذه الطبقة لا تعرف النبلاء مثلك.

- هذا صحيح، لذلك تنحيت عن مهامي كدوقة بسبب أمثاله. أنت لم تغسل الصحون حتى الآن.

- لا يوجد صابون.

- إذًا، اذهب واشترِ.

- اليوم الأحد ولن نصرف العشرة آلاف مارك.

- عشرة ألاف مارك؟ أنا ليس معي حتى عشرة فينيك.

قال «ماثيز»:

- ربحت من اليانصيب، ولذلك جئت إليكِ...

- لكي أشغل لك المال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- صحيح، سموكِ.

- دعكَ من تلك الألقاب. أصبح لدينا المال، ولذلك نستطيع فعل ما نريد. ركز معي ماذا يمكننا أن نفعل بهذا المال، لنستأجر كشك صغير.

- وماذا نبيع؟

- حَقًّا، ماذا نبيع؟ اجلس يا «ماثيز».

شرعوا في اختيار شركات المنتجات من إعلانات مجلة «سيزله باش باشا»، وأرسلوا طلبات لتلك الشركات المختلفة. ومنها:

مائة صندوق مشروبات غازية، ومائة صندوق مياه غازية، ومائة علبة مثلجات، ومائة زجاجة نبيذ ورد، ومائة زجاجة نبيذ صافي، ومائة زجاجة نبيذ أبيض، ومائة زجاجة نبيذ أحمر، ومائة صندوق كونياك فرنسي، وخمسمائة علبة سجائر، ومائة صندوق بيرة بلجيكية، ومائة صندوق شمبانيا.

وبالطبع، كما نرى احتياجات الدوقة طغت على احتياجات الكشك. وفي نهاية كل رسالة تضع التوقيع: «سمو الدوقة».

- أين سيكون مكان الكشك؟

- أمام المدرسة.

- من سيشرب شمبانيا أمام المدرسة؟

- إذًا أمام الأوبرا.

- مناسب جِدًّا حيث الرجال يرتدون البذلات الفخمة، والسيدات اللواتي يذهبن للحمام كثيرًا سنقدم لهم وجبة.

- أنت من ستقوم بالبيع يا «ماثيز»، وبالطبع ستأتي الدوقة في الساعات المتأخرة من الليل وتفتتح السهرة. أحضر لنا كوبي شاي يا «ماثيز».

- «روزا».. أنا سددت ديني بالكامل.

- معك حق، أي شاي.. نحن سنشرب شمبانيا.

- أين؟

- في باريس.

- والطلبيات؟

- نترك التوكيل للبواب، وهو يستلم الطلبيات.

عندما كانوا في باريس بدأت الطلبيات تصل في شاحنات صغيرة، لم يدرك البواب أنهم ليسوا موجودين. واستلم البضائع، ووضع فواتير الحساب تحت باب منزل «روزا»، ولكنها لم تعد. حينها اضطر البواب أن يطعم أطفاله من المثلجات مدعياً أنها قد تفسد. وفتح أكثر من زجاجة بيرة. وتكدس منزله بصناديق البضائع. في الصباح عاد كُلًّا من «روزا» و«ماثيز» بعدما صرفوا العشرة آلاف مارك بالكامل. رأوا فواتير الحساب.

سألها «ماثيز»:

- ماذا سنفعل؟

ردت «روزا»:

- نحن ما زلنا في باريس.

ثم علقت لافتة على الباب مكتوبٌ عليها: «أنا حالِيًا في باريس، ولذلك أرجو

منكم أن تراسلوني على عنواني هناك».

وتسحبوا على أطراف أصابعهم وتركوا العمارة. وعندما كان البواب ينظف الدرج رأى اللافتة وهرع إلى الشرطة. لم تستطع الشرطة فعل شيء، وما كان من البواب إلا أنه أغلق الباب في وجه كل من يريد ماله، وينصحهم بأن يذهبوا للمحكمة، وكان يتوسل إليهم ليسترجعوا البضاعة. لم يقبلوا حتى ثمن البيرة التي شربها. وفي المساء، جلس البواب وشرب، ثم فتح الثانية، ثم الثالثة، وظل طوال الليل يلعن فرنسا التي هربت إليها الدوقة المحتالة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ببغاء «العمة روزا»

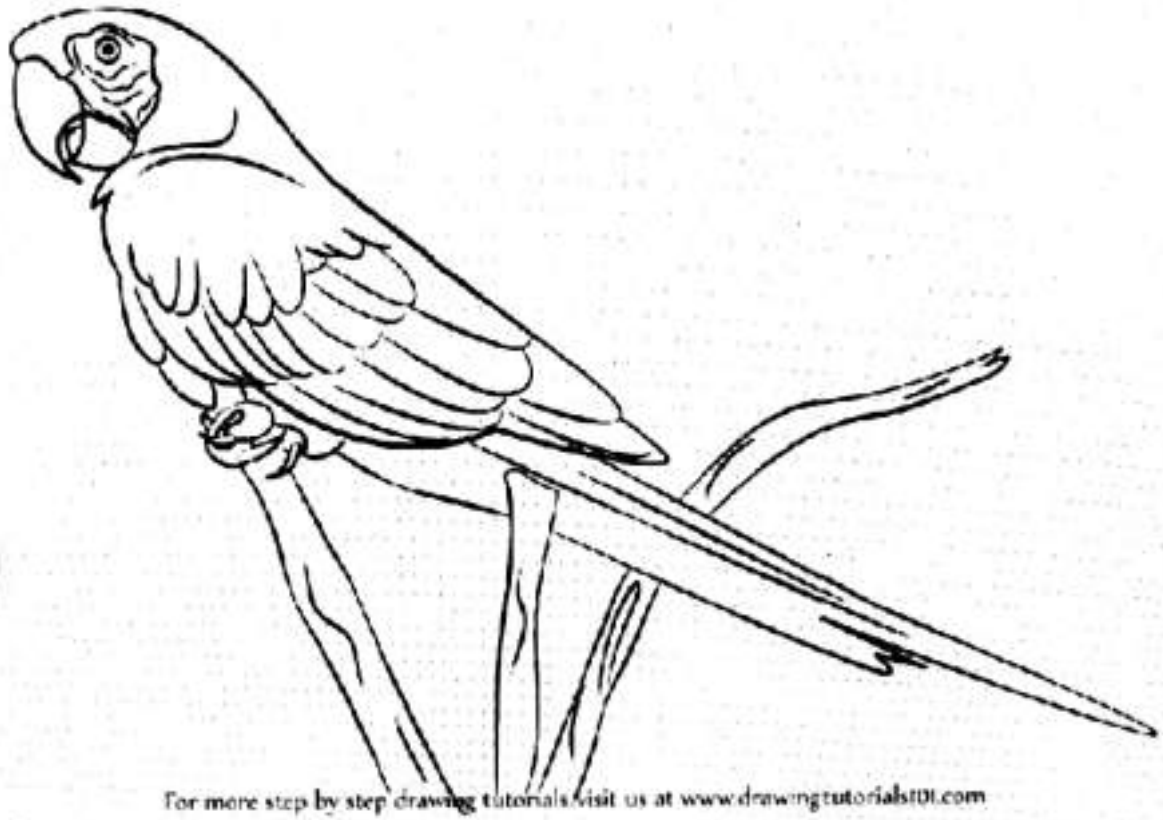

رن جرس الباب:

- صباح الخير يا سيدة «ليبواين»، هل تحسنت صحة زوجكِ؟

- لا بأس، ولكن الآن ظهره يؤلمه.

- أدفئي رجليه. في هذا الجو...

- صحيح الجو بارد.

- ستسوء حالته قليلًا. سيدتي، كنت سأسألك هل يوجد لديكِ زجاجات؟

- أي زجاجات؟

- زجاجات فارغة، زجاجات شراب، أي قارورة نبيذ.

- انتظري، سأحضرها لكِ يا «روزا».

تحمل «روزا» في يديها شبكة ثقيلة للغاية مليئة بالزجاجات التي جمعتها من عمارة رقم ٣٢ التي في شارع «نيكار».

تمتمت قائلة:

- غدًا، سأجمع زجاجات عمارة ٣٤.

وبفضل ذلك العمل، أصبحت «روزا» ترتدي أحذية فضية اللون، بكعب عالٍ رفيع وفساتين سهرة لامعة ومطرزة. تشتريها من بائع الخردة. قد تكون موضتها انتهت. ولكنها ما زالت محتفظة برونقها ورقيها الذي كان وما زال يأسر قلوب النساء. أصبحت «العمة روزا» عجوزًا.

فكرت قائلة:

- يجب أن أتزين كشجرة عيد الميلاد. يجب أن أتخلص من شيبي، تجاعيد وجهي، قد يضحكون وربما يسخرون مني، ولكن لن يمروا دون أن ينظروا إليَّ.

لم ترد أن تعيش كالذين يمضون حياتهم هكذا بلا مبالاة لأي شيء، ثم تابعت قائلة:

- قلبي تحطم، والجميع شارك في تحطيمه، سُحق كبريائي.

ترغب في نسيان آلامها.. أن تنسى كل ما تعرضت له من خزي في حياتها. تجربة الشعور بالوحدة والمعاناة هي تجربة لا يستمتع بها إلا العشاق الشباب، إذ يكتبون عن معاناتهم ويبكون في أشعارهم.

تبلل حذاؤها.. تدثرت بداخل معطفها الفرو وعدلت من وضعية قبعتها التل المطرزة بالخرز، والتي عندما سقط عليها المطر زادها لمعانًا ورونقًا.

تحلم قائلة:

- عندما أبيع الزجاجات سأشتري بالنقود ببغاءً، وأتجول به فوق كتفي. لن يقولوا عني عجوزًا. سأختلف عن باقي السيدات، سأختار ببغاءً يتماشى مع لون عينيَّ الخضراوين.

وفجأة مرت بجانبها سيارة مسرعة. وطرطش الوحل على معطفها.

غضبت من ذلك الموقف وقالت:

- يا أحمق، يا ابن الأحمق.

- أعتذر لكِ بشدة أيتها الكونتيسة.

- هل قال لي «كونتيسة»؟ لا بد أنه يسخر مني، بالتأكيد يسخر مني.. ولكن أنا «كونتيسة» ولست مسنة ولا عجوز. وإذا اشتريت الببغاء ستزداد المغازلات أكثر وأكثر. يمكننا الاستهزاء بأي أحد، ولكن الشخص نفسه هو من يمكنه أن يرفع من قدره أو يحقره.

***

كانت «روزا» قد قرأت قبل ذلك في مجلة «سيزله باش باشا» أنه كان لـ«نابليون» عشيقة اسمها «إيميليا فيكتوريا فون فولفسبرج». عندما كانت «ماريا لويس» تغفو في قصرها، كانت تلك العشيقة على ظهر حصان بجانب «نابليون» في ساحة الحرب. متنكرة في زي ضابط الحراسة للإمبراطور، باسم الـ«كونت فولفسبرج». بالطبع حياة الإمبراطور العاطفية يجب أن تكون سرية ولا أحد

يعلم عنها شيء. ومع ذلك ذهبت معه إلى موسكو بصفتها حبيبته، ولكنه انهزم هناك. ولم يجد المواساة إلا في أحضان حبيبته، ورجعوا ولكن في الطريق كانت هناك عواصف ثلجية وجليد؛ العساكر تجمدوا من صقيع العواصف، واضطر أن يرجع معها إلى روسيا. أو شيء من هذا القبيل.. وعندما مرض «نابليون» ثم مات؛ ظلت «إيمليا» هناك، ولكن حالها تغير تمامًا، أصبحت فقيرة للغاية. تعيش مع مجموعة من الحيوانات. لم تعد تلك السيدة التي سافرت مع «نابليون» إلى روسيا. تتجول ببغاء فوق كتفها، وكان الببغاء يغرد بلا توقف «صباح الخير سموّكِ».

وقفت «روزا» تتأمل الزجاجات التي تحملها، ثم قالت:

- الصندوق ثقيل للغاية. جمعت اليوم عددًا كبيرًا من الزجاجات.

تعثرت في السير في الثلج بسبب الكعب العالي، واشتدت الرياح فطارت قبعتها. لم تستطع الجري ورائها بسبب ذلك الحذاء، فتلك الأحذية ليست للجري. بحكم أنها «العمة روزا» لا يمثل تقدمها في السن ولا شيخوختها أي مانع أمامها.

فكرت قائلة:

- طارت القبعة. يجب أن أمسك بها. الشيء الوحيد الذي أعرفه هو ألا يفقد المرء لياقته.

طارت القبعة و«العمة روزا» تصرخ بأعلى صوتها في الشارع وهي تجري لتمسك بها. مرت عربة مسرعة للغاية، كانت على وشك أن تدهس القبعة، ولكنها وقفت ونزل منها شاب، والتقط القبعة من أمام العجلات وأعطاها لـ«العمة روزا». لا، في البداية قبّلَ يديها.

وقال لها تفضلي، أفاقت «روزا» من شرودها على صوت فرامل السيارة.

وبداخلها رجل يصيح قائلًا:

- أيتها العجوز، انظري أمامك.

ما زالت القبعة على رأسها ولم تطر ولم يكن هناك شاب قَبَّلَ يديها ولا أي شيء من هذا القبيل. وصلت لساحة بها قطع غيار للسيارات المستعملة والخردة المعدنية. في هذه الساحة مجموعة من الدكاكين الصغيرة، كانت تبيع هناك الزجاجات التي تجمعها، قبضت ثمنها. كانت دائمًا ما تضع المال داخل قفاز يد. حَقًّا المال يعطي دفء. سقط المطر، والجو أصبح باردًا، ويزداد برودة أكثر وأكثر. وحذاؤها أصبح مبتلًا، ولكن مع ذلك لم تشعر العمة «روزا» بالبرد.

***

- أريد شراء ببغاء.

- قلتِ ببغاء؟

- نعم، أريد ببغاء.

- لدينا سلالة ممتازة من الببغاء، ولكن في هذا الموسم لا نبيعه. كما تعلمين. الجو بارد. هل بيتك دافئًا؟ هل فيه مدفأة؟

- لا، أقصد، نعم.

- هل لديكِ عربة لتنقله من الدكان إلى منزلكِ؟

- لا، ليس لدي.

- إذًا، سأطلب لكِ تاكسي.

تاكسي؟ بيتها في الجانب الآخر من المدينة. النقود التي بحوزتها تكفي ثمن شراء الطائر. وربما تكفي لركوب الترام.

- عندما أخرج من المحل سأطلب تاكسي.

- ولكن لا يمكن سيدتي، فالجو بارد. والطائر قد يبرد.

- أنت محق، يجب ألا يبرد الطائر.

- إذًا، سأطلب لكِ تاكسي.

- لا، انتظر. لدي بعض الأعمال لأقوم بها. إذا اشتريت الطائر الآن قد يبرد في التاكسي، عندما أفرغ من مشاغلي سآتي وآخذه.

- ولكنه لن يبرد في التاكسي.

- لا، سيبرد، في المساء سأمر وآخذه.

***

وصلت إلى محطة الترام. لم تعد تشعر بالدفء كما كانت من قبل؛ فهي مبتلة من رأسها حتى أخمص قدميها، ومع كل حركة لها ترتجف أوصالها أكثر. شعرت أنها تحتاج للنوم. فجأة جاءت عربة تجرها الخيول، العربة كانت مسرعة باتجاهها. شردت قليلًا.. لو كانت هذه العربة لها و«نابليون»، وهما مستلقيان بداخلها ويمارسان الحب. ثم تصدم العربة العمة «روزا» ويتجمع الناس حولها وهي ميتة على الرصيف، والببغاء يصرخ ويقول ماتت الكونتيسة «روزا».

وصل الترام.

- ألن تصعدي سيدتي؟

CamScanner ممسوحة ضوئيا ب

أفاقت «العمة روزا» من أحلامها، ثم استقلت الترام.

***

رن جرس الباب.

- صباح الخير يا سيدة «فوتشا». كيف حال ابنك؟

- لديه دمل في عينيه.

- ضعي على عينيه عصارة بذور الكتان، وسيتحسن في الحال.

- أنتِ، كيف حالك؟

- الجو بارد.

- حقًّا، الجو بارد للغاية. كنت أريد أن أسألك عن شيء. ألا يوجد لديكِ زجاجة، أي زجاجة، زجاجة فارغة، زجاجة شراب، أو قارورة نبيذ.

- انتظري، سأحضرها لكِ.

لن يكون ثمن بيع زجاجات عمارة ٣٤ في شارع «نيكار» كافيًا. لن تشتري البيغاء اليوم، لأنها لم تجمع أجرة التاكسي، ولأنها أصلًا لم تأخذ أي زجاجات من العمارة ٣٤.

حلم «العمة روزا»

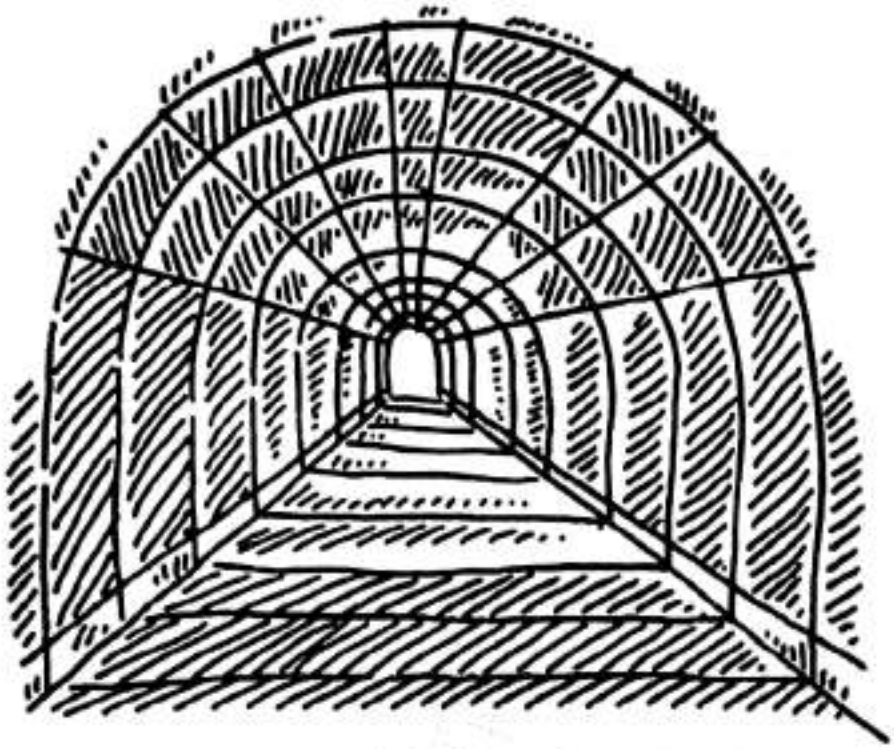

حلمت «روزا» أنها في غابات كثيفة الأشجار. جلست ترتاح على حجر، ونظرت أمامها على الممشى الوعر. تلمع عينيها بفرحة غريبة وكأن كل الخوف وإحساس الضياع الذي صاحبها لسنوات قد تلاشى. ابتسمت وجنتيها المجعدة، تلك التجاعيد المغطاة بالمكياج. في تلك اللحظة، عادت لتكون شابة جميلة؛ أي أن جسدها تحول من عجوز لشابة. عثرت على ما كانت تبحث عنه دائمًا، وجدته هناك في تلك الغابة الوعرة، ولكن ربما يكون هذا امتحان. هي لم تجتز أي امتحان بمفردها، هي مجرد حمقاء، كبرت في السن وهي لا تعلم ماهية الأشياء. ما زالت تفسد كل شيء. عادت لتنظر وراءها.

Telegram:@mbooks90

فجأة تحول الجحر الضيق إلى مَمَر واسع، رأت بداخله رجلًا عَارِيًا، لكن من

هذا؟ هل هو «هانس»؟ زوجها الأول أم الثاني؟ هل هو واحد من الأمراء أو النبلاء التي كانت تتحدث عنهم؟ هل هو «هتلر»؟ أم «ستالين»؟ أم «نابليون»؟ لا يمكن أن يكون واحدًا منهم، لأنها لم تختر أيًّا منهم. كأنها حبة لقاح طارت في نسيم الربيع. لم تخصب أي بويضة من قبل. حبة لقاح تطير ولديها مليون احتمال للتلقيح. وربما هذا الغباء الأنثوي سيُمحى عندما تسبح في بركة المياه التي أمامها.. ربما قبل أن ندخل «امتحان الدنيا».

كنا نمشي عراة، ولكن تعلمنا أن نخجل، ونسينا أننا كنا في البداية عراة. نسينا من نحن عندما دخلنا الامتحان، ربما التعري هو النسيان. نتعرى من أجل أن ننسى أو ربما لنهرب. في حين أننا نتعرى من أجل أن نتذكر ما قد نسيانه منذ وقت طويل، أو لكي تصبح لدينا القوة لكي نبدأ من جديد، وأن نختار؛ نتعرى من أجل أن نقول لا أو نعم. نتمرد، نتعرى من أجل السلام.. الخراب. ربما لم نتعرَ «العمة روزا» من أجل ذلك من قبل، لم نفكر في ذلك، لم ندرِ، لم نتعلم. «روزا» هي الاسم الوحيد للتعبير عن الجهل الأنثوي. وأن ننسى، ولكن ننسى ماذا؟ ولماذا نهرب؟ لم تعلم أيًّا من ذلك.. ومن أجل هذا كله نتعرى.

قالت «روزا»:

- مشينا داخل الممر. لم يعلم هو ولا أنا ما هو الامتحان الذي سنخوضه. لماذا ندخل هذا الممر وما الذي يوجد في نهايته؟ ربما ممر آخر.

ثم أكملت قائلة:

- يجب أن أخرج من هذا الممر. ربما امتحاني هو أن أجد نهايته. أعلم أنني أفشل دائمًا، ولكن الآن يجب أن أتجاهل كل هذا. بالتأكيد ليس هناك مخرج في نهاية النفق، لأنه عادةً لا يوجد نهاية للأنفاق. لذلك يجب أن أصل

لفتحة تعودني للخارج. بالتأكيد سيكون هناك مفاجآت كالتي أقرأها في روايات مجلة «سيزله باش باشا»، والتي تنتهي دائمًا نهاية سعيدة. ربما سيظهر نور وسط تلك العتمة وينير لنا تلك الظلمة. يظهر من تلقاء نفسه ومن دون أن نفعل أي شيء.. ربما يجب عليّ أن أستيقظ من تلك التخاريف. لا يوجد في الأساس نور مصطنع. لو عبرنا هذا النفق ووصلنا لنهاية الغابة، لن نجد شمسًا. ولن نجد نهاية لذلك النفق ونقول أخيرًا وصلنا. من دون معرفة نهاية النفق لن نخرج منه. وهذا هو الامتحان. كلما تعمقنا داخل النفق ضاق بنا. ولا أحد يعلم كيف سينتهي الأمر.

***

شخصان عاريان يضحكان وسط كل هذا. كانت «روزا» سعيدة حَقًّا، لأنها في ذلك الحُلم تحولت من عجوز مترهلة الجسد لشابة جميلة. كان جمالها يجذب هذا الرجل لها، لم تعد تفكر في نهاية النفق، ولا تدري أن النفق يضيق. التفتت ونظرت خلفها وفجأة لم تجد أحدًا. عادت ونظرت لنفسها، بدت كما هي.. عجوز، جلدها مجعد. عندما رأت ذلك حزنت وذرفت دمعة من عينها وهي نائمة، ثم رأت أمامها.. أبيها، أمها، بابا القرية، جيرانها، أولادها، أزواجها، أحبابها، أصدقاءها، أعداءها، من يودونها ومن لا، من أقرضها مالًا ومن لا، من اشترت منه بالقسط ومن لم تفعل، البائعين، أصحاب الدكاكين، الصادقين والمنافقين، الجميع يقفون متراصين والدموع في أعينهم مرتدين ملابس سوداء بيدهم إكليل من الزهور. من الواضح أنهم في جنازة ولكن لمن؟ من الذي مات؟ انصدمت «روزا» من الحزن المخيم على الجميع.

ثم قالت:

- هم حزانى على موتي، ولكن أنا كيف مت؟ ومتى حصل ذلك؟ في أي حرب مت؟ ربما من ألم البطن؟

لم تعلم، لم تعلم أي شيء حتى مماتها، ولكن الآخرين يعلمون جيدًا ولكنهم يتجاهلون الأمر. الجميع يعلم، الجميع بلا استثناء. ولكن لماذا لم يهتموا؟ أنا لم أنسَ، أنا لم أنسَ موت «العمة روزا».. لأنني أنا من وضعتها داخل هذا النفق. هذه هي «روزا» التي دخلت النفق والتي باستطاعتها أن تموت أو تعيش، تعيش تحت أي ظرف أو بأي شكل كان، التي تضحك وتبكي في بعض الأحيان. «روزا» التي لديها إصرار على الحياة رغم فشلها، والتي لم نتعلم من أحد شيئًا، ولم تُعلِّم شيئًا لأي أحد. «روزا» التي بكت عندما رأت في منامها موتها وجنازتها. بهذا نكون حللنا اللغز. استيقظت «روزا» من حلمها وهي تتصبب عرقًا. وقالت:

- يا إلهي، لقد كان حُلمًا.

رحلة «العمة روزا»

مرت أيام و«العمة روزا» لم تفتح باب منزلها. تتراكم العديد من الفواتير عند الباب؛ فواتير المياه، والكهرباء، والغاز، والأقساط، وضريبة الحيوانات، وإخطارات تجديد الاشتراكات، مجلات، أعداد من مجلة «سيزله باش باشا»، جرائد، ورسائل كُتبت لمئات الأشخاص منذ أشهر لم يتم العثور على عنوانها

فردّت مرة أخرى، التماسات مرفوضة، جوابات رفض على إعلانات الوظائف المختلفة. كل تلك الأوراق ملقاة تحت الباب، وكأن كل ما بقي لها من تلك الحياة هي كومة الأوراق تلك التي تعلو أمام الباب. لم تستطع «العمة روزا» تجاوز تلك الكومة وفتح الباب. لم تفرّط في تلك الأوراق التي تدل على وحدتها، كانت تحتفظ بها، ولكن كان مصيرها أن يتراكم فوقها التراب. كان التراب متراكم لدرجة أنه كَوَّن طبقة على الأوراق. ومن كمية التراب الموجودة نستطيع أن نميز الوثائق القديمة من الحديثة.

التجاعيد، الجلد المجعد، الشيخوخة، التعب، الفشل، الوحدة.. كل هذا يجب أن تتخلص منه، ومن بعدها تبدأ من جديد، تعيد مرحلة الشباب من جديد، بأخطاء جديدة. ربما يوجد في كومة التراب تلك شيءٌ واحد صحيح قد يغفر كل تلك الأخطاء. حينها ستعيش «العمة روزا» بِشَكْل جديد، ناضج، مدرك، متفهم، ستعيش حَقًّا بشكل مختلف.

***

في أحد الأيام، حدثت معجزة؛ رأت «العمة روزا» باب منزلها قد كُسر بالقوة. دخل مجموعة من الأطفال لا تعرف أين ومتى ولدوا، رموا كومة الأوراق في سلة المهملات، ونظفوا الغبار الموجود على الأرض، وتخلصوا من آثار وحدتها تلك. تأملت «روزا» أرضية منزلها التي كان يعلوها طبقة التراب والذي كونته طوال حياتها، من الوجع، الفرح، مرارة الحياة وحلاوتها، تعبها، شيخوختها كل ذلك تلاشى وضاع. صرخت صرخة قوية.

***

وبعد ذلك، وضعوها في قطار، وأعطوها تذكرة. جلست «العمة روزا» في

مقصورتها، وعلقت قبعتها. في تلك اللحظة، كيف أصفها؟ يا له من ألم! ألم يقطعه صرخة.. صرخة من أعماق القلب. ارتعش كل جزء في جسدها، ولكنها صمدت وتحملت الألم، كألم الولادة، الذي يختفي عند سماع الصرخة الأولى للطفل، ثم إحساس بالارتياح. نظرت من الشباك رأت المدن، والأشجار، والنوافير، والشوارع، وأعمدة الكهرباء، والمتسولين، والكلاب، والمتاجر، والبنوك، والمباني الرسمية والخاصة، والتماثيل، والجنود، والمسابح، والحدائق، ومقاعد المنتزهات، ومصابيح النيون، وملصقات السينما والمسرح. رأت أمامها «روزا» جديدة. أدركت أن الولادة قد انتهت. رأت ولادة «روزا» الشابة، بملابسها الأنيقة، وبأحذية سهرة لامعة. ولدت من جديد، وكأن شيئًا لم يحدث. والآن لنبدأ من جديد.

نظرت إلى «روزا» الجديدة وقالت:

- أصبحت يداي بيضاء، دون أي بقع. متى أصبحت هكذا؟

توقفت «روزا» ثم تابعت مرة أخرى:

- في أحد الأيام، كنت تعيسة، كنت سأداعب قطتي، ولكنها خدشت يداي. في هذه اللحظة، رأيت يداي.. نظرت لهما.

سكتت، ثم رجعت ونظرت لـ«روزا» الجديدة بتمعن وقالت:

- وجهي متورد، وكأني حية، وصوتي أصبح عذبًا، وقلبي يخفق بسرعة.

سألتها «روزا» الجديدة:

- ومتى تغير كل هذا؟

سكتت «روزا» وظلت تتذكر، ثم قالت:

- في أحد الأيام، اشتريت لنفسي ثوب سباحة رخيص من المزاد. وعندما وصلت للبيت خلعت ملابسي، وارتديته. ووقفت أمام المرآة ورأيت جسدي مترهلًا للغاية.. كبرت دون أن ألاحظ ذلك.

نظرت لها «روزا» الجديدة وقالت:

- أصبحت عجوزًا، متهالكة، بالية، كالحيوانات والأشياء التي قضيت حياتك تجمعينها.

كانت «روزا» الجديدة تنظر إليها دون شفقة أو تساهل، ثم تابعت قائلة:

- أنت مثل شجرة قديمة، قطة عجوز، ربما كرسي بذراعين مكسورين، ورقة شجر جافة، ستارة متهالكة، ثوب قديم، قبعة بالية، أو حذاء متآكل.

لكن يجب أن أتخلص من «روزا» عديمة الفائدة هذه، وأبني «روزا» جديدة؛ ولذلك يجب أن أمحوكِ لأخلق نسخة جديدة نافعة.

صرخت فيها «روزا» باستياء:

- هل أنت جهاز كهربائي يريد أن يطور من نسخته الأولى لكي يتفادى عيوبه؟

أرادت أن تقول ذلك، ولكن هذه المرة رجع الألم بقوة، لكنها لم تصرخ. فقط نظرت من نافذة القطار، على الشوارع، الحدائق، الأشجار، الأماكن المألوفة لها ثم ذهبت، ذهبت بعيدًا.

النهاية

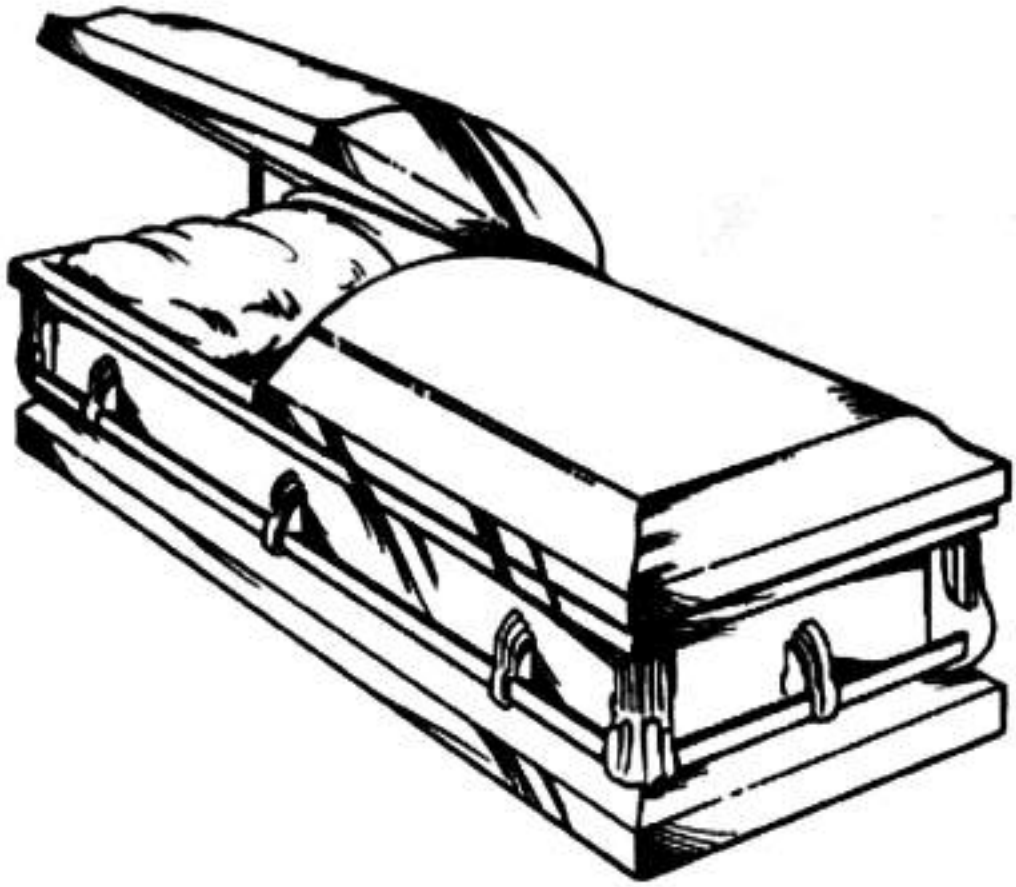

اعترض موظفو الدرجة الرابعة التابعين لإدارة النقل العامة للبلدية على نقل نعش «روزا» الخشبي، حيث ينص البند رقم ٣٥ في لائحة هيئة النقل العام المتعلقة بنقل الميت على: «إذا تم نقل شخص مات في مكانٍ ما وينتمي لمدينة ما (ويقصد بقول «ينتمي» أي وُلد فيها، أو لديه أقارب أو معارف بها، أو أوصى بأن يُدفن فيها في وصيته)، بشرط أن تكون المستندات الطبية والحكومية بجانب وثيقة انتمائه للمدينة كاملة، وعلى ذلك سيتم نقله (لأقرب مستشفى من مكان الحادث لاستخراج شهادة الوفاة)، ثم إلى المدينة المنتمي إليها وذلك داخل تابوت معدني».

كان الموظفون يقرأون تلك البنود باستنكار شديد. وذلك لكون «روزا» لم

تمت في حادثة سير، ومع ذلك المشرحة سلمت الجثة ليتم دفنها في «صندوق دفن الموتى المشردين». كان من المفترض أن تتسلمها البلدية ولكن عند البحث تم إثبات أن «روزا» لم تتطلق من زوجها الأخير «ماثيز». وفي هذه الحالة فإن المتوفية لن تكون مسؤولية البلدية، ولكن ستكون هيئة النقل العام التابعة للمدينة المنتمية لها المتوفاة هي المسؤولة عنها. وافقت الهيئة على نقل جثمان «روزا» بشرط أن تتكفل المدينة أو أقاربها بمصاريف الشحن. وأما عن التابوت المعدني؟ هل ستقبل الهيئة بأن يكون التابوت غير معدني؟ كانت مستشفى البلدية أول من استلم جثمان «روزا» ووضعته داخل تابوت خشبي.

***

من جهة وضعت المستشفى الجثمان في تابوت خشبي، ومن جهة أخرى تريد هيئة النقل تابوتًا معدنيًا، وكلا الطرفين محقان، الشيء الوحيد الخطأ هو التابوت.. أو بالأحرى «العمة روزا».. حتى في موتها أحاط بها النحس. أما عن المعنيين في المستشفى فقالوا:

- أدَّينا وظيفتنا، وقدمنا تقرير الوفاة، ووضعناها في تابوت خشبي كما نفعل دائمًا مع الحالات المشابهة لتلك.. وليس لدنيا توابيت معدنية، ولا أي وثيقة تنص على وضع الجثمان في تابوت معدني. وفي هذه الحالة ما يمكن فعله هو تغيير اللائحة، وقد يتطلب ذلك شهرين تبعًا للمادة ٤ من اللائحة التي تضم بند التغييرات.

أما عن موظفو هيئة النقل فقالوا:

- نحن وظيفتنا نقل الجثمان، ولكن في إطار لائحة حكومتنا فإنه يجب نقل الميت في تابوت معدني.

***

في الحقيقة، استمرت هذه المناقشات لفترة طويلة، وذلك لأنه لم يتدخل أي مسؤول رفيع المستوى لحسم الموقف. وبالطبع المسؤولون الأقل نفوذًا في تلك المواقف يقفون مكتوفي الأيدي. في النهاية، تدخل أحد المسؤولين المهمين وأرسل لـ«ماثيز» تلغراف. أجمعوا على أن «ماثيز» هو من سيتكفل بتكلفة النعش المعدني، لكنه لم يتسلم التلغراف أو لم تجد هيئة البريد عنوانه، وعاد التليجراف مجددًا. بعد ساعات من الاجتماعات مع كبار المسؤولين، أجمعوا على أنهم سيتحملون تكلفة التابوت ونقله إلى المدينة.

***

بعد العديد من المراسلات، كان مدير محطة المدينة في الانتظار لاستلام النعش ومعه أسقف الكنيسة الكاثوليكية لجمعية «دفن الفقراء». تسلمت الجمعية التابوت، ولكن التابوت مزين للغاية بالنسبة لشخص فقير، والمنظمة لديها سمعة طيبة في أعمال الدفن البسيطة والمراسم الجميلة، لذلك لم يستخدموا التابوت المعدني. أخرج الموظفين جثمان «روزا» ووضعوه في تابوت خشبي مفتوح الغطاء في الكنيسة، لكي يتسنى للناس زيارتها. وزينوها ووضعوا حولها مجموعة من الشموع، وفي يديها صليبًا ذهبيًا. وبما أن المتوفية وحيدة ولا يعرفها أحد، ستستغل الكنيسة ذلك في جمع التبرعات من زوارها وبالطبع ستكتسب سمعة طيبة في احتواء ونجدة المشردين مما سيزيد من التبرعات لها.

ولكن هذه الأمنيات لم تتحقق مع الأسف، قبل الجنازة بساعتين فقط، بفضل التحريات التي أجراها موظفو الجمعية، اكتشفوا أن «روزا» كانت قد قطعت علاقتها بالكنيسة بشكل نهائي، وسجلت في جواز سفرها أنها بلا دين.

***

مرة أخرى رجع جثمان «روزا» إلى التابوت المعدني. وتم تسليمها لبلدية المدينة. حاولت البلدية تسليم التابوت لـ«جمعية الإحسان» التابعة للمدينة. ومع ذلك، على الرغم من أنها لديها صندوق لدفن «الموتى المتشردين» فإن الجمعية طلبت إثباتًا أن المتوفية ليس لديها أي أقارب. وبالطبع مثَّل وجود «ماثيز» عائقًا لهذا، ولذلك بحثت البلدية عن «روزا» في سجلات الأحزاب الموجودة في المدينة، ولأن أعضاء الأحزاب يتحملون مسئولية دفن أقاربهم، فهم للأسف لم يعثروا على ما يفيد بأن «روزا» منضمة لأي حزب. في النهاية نشروا إعلانًا للبحث عن «ماثيز» ومن يجده سيفوز بجائزة مرضية، ووجدوه بالفعل. استلم جثمان «روزا» بِحُزْن شَدِيد، لكنه لم يلك المال الكافي لدفنها، فتواصل مع أبناء «روزا». بالطبع لن نستطيع القول إن عائلة «روزا» ستتهرب من المصاريف. ومع ذلك هم لديهم الحق في التهرب من هذا العبء، في الحقيقة إن «روزا» هي السبب في ذلك. في النهاية اجتمعت العائلة كلها واتفقوا على أن أفضل طريقة هي حرق الجثمان.

***

في يوم ممطر - غالبًا كل الجنائز تُقام في أيام ممطرة - بحضور كل العائلة، أُحرِق جثمان «روزا»، ووضعوا رمادها داخل مزهرية، وبالطبع كان «ماثيز» هو من أخذها باعتباره قريب من الدرجة الأولى. ووصل للمنزل، ووضع المزهرية فوق طاولة السرير بِحُزْن شَدِيد. وقال: «يومٌ لا يُنسى. إن الذكرى الوحيدة المتبقية من روزا هي تلك القطط السيامي». واحدة من تلك القطط حركت المزهرية فسقطت على الأرض، وتبعثر الرماد والأخرى تبولت فوق الرماد، ولكن ما تبقى من «روزا» هو هذا الرماد، لذلك رسم «ماثيز» عليه قلب

وفي منتصفه سهم كالأطفال وكتب عليه:

«نهاية العمة روزا».

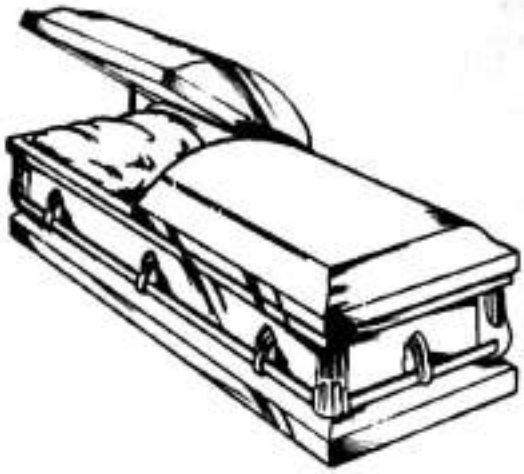

Telegram:@mbooks90